

إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

نائب رئيس التحرير: عبداللّه يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

حوى النبي علي صالح

سيد علي الجعفري

الإخراج الفني

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

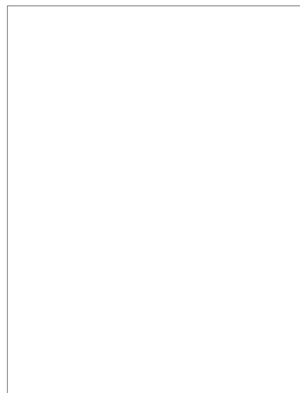
رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية

٤١/٢٤٥٠

ردمد ١٥٢٠ - ٨٥٢٠

الناشر

دار الفيصل الثقافية



عرفت ننألف ال ولي ات الن حدة الأمريكية من خمسي ولية، أ سغرها هاواي Hawaii، الع روفة با سم ولية ألوها Aloha State. وق د سُمّيت به ذا ال س م على ع ادة الأمريكيين بإ سباغ ا سم لكل ولية يعبّر عن معنى من معان تاريخها أو طبيعتها أو تقاليدها. وق سة ه اواي ف سل من حكاية أمريكا فما ا سيلها

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
  في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشتمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى على إرسالها وقت طويل ولم تنشر في المجلة، يتم الرد على الكُتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
- يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التاريخية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصًا القديم منه.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كُتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية 10 ريالات الكويت 800 فلس الإمارات 10 دراهم قطر 10 ريالات البحرين دينار واحد عُمان ريال واحد الأردن 750 فلسًا اليمن 100 ريال مصر 4 جنيهات السودان 1.5 جنيه المغرب 10 دراهم تونس 250. 1دينار الجزائر 80 دينارًا العراق 800 فلس سورية 45 ليرة ليبيا 800 درهم موريتانيا 100 أوقية الصومال 2000 شلن جيبوتي 150 فرنكًا لبنان ما يعادل 4 ريالات سعودية الباكستان 20 روبية المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون



- مشاركة إيجابية

أشكر لكم دوركم وإسهامكم الفعّال في تثقيف القارئ العربي وتذكيره بأبرز الأشياء المهمة في الحياة عبر مجلتكم «الفيصل».

لقد سررتُ كثيراً وأنا أطالع الموضوعات المختلفة التي تحتويها مجلتكم في أبواب المجلة؛ مثل: العادات والتقاليد، والبحث العلمي، والتصوير، والكتب، والحضارات القديمة، والمدن والقرى، والثقافة، والجامعات والكليات، والقصص، وغير ذلك من الموضوعات الشائقة التي تأخذ بجنان القارئ العربي ولبّه.

لقد اضطررتُ إلى مراسلتكم؛ علّني أجد عندكم مبتغاي؛ فأنا أحمل شهادة البكالوريا، ومستقبلاً أحمل شهادة التخرج في الجامعة في تخصص اللغة العربية والأدب العربي إن شاء الله تعالى؛ فآمل أن أكون مسهماً معكم في هذه المجلة الرائعة، وأنا أحب البحوث والدراسات في عدة أبواب من أبواب المجلة؛ مثل: مدينة وتاريخ، ورحلة في كتاب.

وأنا أبدي رغبتي هذه؛ لأنني في طور التعلّم، وأريد أن أستثمر وقتي في الأشياء الإيجابية التي لها معنى، ولكي لا يضيع في الأشياء السلبية التي ليس لها أيّ معنى. أرجو من الله أن يحقق مُناي.

لكم مني أطيب الأمنيات، وللقارئ العربي أيضاً.

ليلى شرعابنة

جيجل - الجزائر

- التحرير

نشكر لك اهتمامك وحرصك على المشاركة بالكتابة في المجلة، ويسرّنا تلقّي هذه المشاركة، ونأمل أن تكون متوافقةً وشروط النشر، وحينئذٍ نَعِدُك بأنها سترى النور، بل هذا أحد أدوار المجلة.

- حفظ كتابه من التحريف إلكترونياً

الكتابة الإلكترونية وجميع وسائل الإعلام المقروء والمرئي لها خطورتها، خصوصاً على طمس معرفتنا بالخط النسخ أو الرقعة، وغير ذلك من جمال معرفة الخطوط لكبار الفنانين، الذين كانت تزيّن صفحات الكتب والمجلات والإعلام المرئي، وكان ذلك ممتعاً لعيني المشاهد والقارئ. وأخشى ما أخشاه اليوم الذي أجد فيه كتابة المصحف الشريف والأحاديث القدسية والنبوية الشريفة مطبوعة على طريقة الكتابات المخيفة بهذه الخطوط الوافدة التي نشاهدها من خلال وسائل الإعلام المقروءة والمرئية، وأن نرقم الصفحات باللغة الإنجليزية كما نشاهدها سائدةً في وسائل الإعلام.

وللأسف أصبح شائعاً نسخ المصاحف النادرة على شبكة الإنترنت، التي صارت في المدة الأخيرة مرجعاً أساسياً لكثير من المسلمين، خصوصاً الدعاة وطلاب العلم؛ لسهولة نسخ الآية ولصقها، وكذلك لسهولة البحث عن أيّ آية.

والملفت للنظر أن المصاحف الإلكترونية صادرة عن جهات غير معروفة، ولم تخضع لأيّ مراجعة أو تدقيق من مؤسسات

التغلب على دكتاتورية ألمانيا الشرقية:

في السابع من شهر أكتوبر عام 1989م احتفلت قيادة الدولة وقيادة الحزب في جمهورية ألمانيا الديمقراطية (ألمانيا الشرقية) بالذكرى الأربعين لقيام الدولة، وبذلت جهوداً جبارة لإنجاح تلك الاحتفالات. واستهدفت الشعارات الرسمية إظهار نظام قوي، واثق بنفسه. ومرّ آلاف الناس في استعراض بهيج أمام قيادة الدولة، ملوّحين بالأعلام، وحاملين اللافتات. أما الشعارات غير الرسمية، فقد كانت تتبنّى آلاف المتظاهرين الذين خرجوا مساء ذلك اليوم في مظاهرات ضد النظام، وكانت الشرطة تقمعهم بالهراوات. لقد كانت الشعارات الأخيرة غير محبّبة إلى النظام، ولكن ماذا تستطيع بضعة آلاف من المتظاهرين ضد نظام مازال يتمتع في ذلك الحين بالقوة والجبروت؟!.

الرقص فرحاً

وعند التفكير بشكل موضوعي - اعتماداً على تلك المعطيات - كان يبدو للمرء أن سلطة الحزب الاشتراكي الألماني الموحّد كأنها في مأمن من الخطر؛ فالحزب الشيوعي الحاكم يستطيع أن يعتمد على جيش مزوّد بأحدث الأسلحة والعتاد، وعلى ميليشيات الحزب المسلحة المنتشرة في الشوارع، وعلى الشرطة، وعلى أعضاء الحزب الذين يربو عددهم على مليوني عضو، وعلى القوات السوفييتية في ألمانيا الشرقية، وعلى رجال المخابرات الذين يراقبون المجتمع من خلال 91 ألف مخبر رسمي، و174 ألف مخبر غير رسمي.

ولكن بعد 33 يوماً فقط من ذلك الاحتفال؛ أي: في ليلة التاسع من شهر نوفمبر عام 1989م، رقص الناس فرحاً على جدار برلين أمام بوابة براندنبورغ؛ فقد فُتحت الحدود مع برلين الغربية، ومع ألمانيا الغربية كلها، بعد أن كانت تلك الحدود منيعةً وبالغة الإحكام طوال 28 عاماً، ومن يحاول أن يتخطّاها كان يحكم على نفسه بالموت المحقّق. وقد حدث في تلك الأيام الثلاثة والثلاثين أن قامت مظاهرات عارمة أرغمت الرئيس إيريش هونيكر على التنحّي عن منصبه بعد أن ظلّ على رأس الحزب الشيوعي منذ عام 1971م. لقد حاولت القيادة الشيوعية للحزب والدولة تخفيف حدة تلك المظاهرات عبر إعلانها السريع والمتخبّط عن إصلاحات، ولكن جهود الإصلاح باءت بعدم النجاح، ويوماً بعد يوم ازدادت المظاهرات في الشوارع؛ حتى بلغ عدد المتظاهرين في برلين الشرقية في يوم 4 نوفمبر عام 1989م أكثر من نصف مليون متظاهر.

كيف كان في الاستطاعة إسقاط دكتاتورية خلال مدة وجيزة، بعد أن حكمت طوال أربعة عقود من الزمان، وامتلكت كلّ مقومات القوة؟!.

تداعيات الحرب العالمية الثانية

لكي نستوعب أحداث عام 1989م علينا أن نستعيد أولاً تاريخ تقسيم ألمانيا، وتاريخ دكتاتورية الحزب الاشتراكي الألماني الموحّد. وهذا الأمر يعود بنا خمسة عقود إلى الوراء. دعونا نبدأ بعام 1939م، عندما بادرت ألمانيا إلى الحرب العالمية الثانية؛ فقد كان الوضع آنذاك يبدو كأن راية النازية سترفرف قريباً فوق كل أراضي أوروبا والاتحاد السوفييتي. غير أن حظّ الألمان في الحرب لم يدُم طويلاً؛ فقد استطاعت بريطانيا والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية أن تهزم ألمانيا على الرغم من الخسائر الفادحة التي تكبّدها هؤلاء الحلفاء. وفي الثامن من شهر مايو عام 1945م استسلمت ألمانيا من

بريجنيف وفورد إبان الحرب الباردة

سقوط هتلر فتحكم الحلفاء في مصير ألمانيا

قيادة الحزب الشيوعي الألماني رفضت دعوة الإصلاح الرامية إلى التجديد والشفافية، أو ما يسمى بالغلاسنوست والبريسترويكا؛ مما أدى إلى انتشار اليأس، وازدياد التذمر في أوساط الشعب

دون قيد أو شرط، وأصبحت القوى المنتصرة، التي انضمت إليها فرنسا، تتحكم في مستقبل ألمانيا. لكن تحالف القوى المنتصرة، الذي أبرم في ظل ظروف الحرب، لم يدم طويلاً؛ فقد بدأ في عام 1948م عصر الحرب الباردة بين المعسكر الغربي الرأسمالي الديمقراطي والمعسكر الشيوعي السوفييتي الدكتاتوري. ونتج عن ذلك تقسيم أوروبا، وفي الوقت ذاته تقسيم ألمانيا. وأصبح المعسكران الشرقي والغربي يفرضان أنظمتهما السياسية والقيادية على الجزء الذي يسيطر كل منهما عليه من ألمانيا، وأخذت أقلية من الشعب المسيطرين على عاتقها العمل من أجل جعل بلدهم هو (البلد الألماني الأفضل). ففي الغرب ساد الديمقراطيون المسيحيون والليبراليون والديمقراطيون الاجتماعيون، الذين عملوا تحت إشراف القوى الغربية على تأسيس جمهورية ألمانيا الاتحادية. أما في الشرق فقد أمسك الشيوعيون بمقاليد الحكم في جمهورية ألمانيا الديمقراطية (ألمانيا الشرقية) بأمر من موسكو. وأصبح النظامان يتنافسان في عقول الألمان وقلوبهم، الذين كان أغلبهم يهتفون للنازية حتى عام 1945م. وبعد الحرب كانت ألمانيا مدمّرة، وأصبح الناس يعانون فقراً مدقعاً جعلهم يفتقدون الثقة، ويرفضون في أغلب الأحيان كلّ ما يمتّ إلى السياسة بصلة. وكان كلّ من النظامين يدّعي أنه النموذج الأنسب لكلّ ألمانيا، ولم يُدرك أحد أن انقسام ألمانيا سيدوم مدةً طويلة.

الحال في الألمانيتين

ولكن تطوّرت في ألمانيا الغربية خلال مدة وجيزة دولة قانون ذات اقتصاد قوي، تسود فيها العدالة الاجتماعية والحرية، وتستمدّ شرعيتها من الانتخابات الحرة. ولم يقنع النجاح الاقتصادي في ألمانيا الغربية الألمان الغربيين فحسب، بل أقنع كثيرين من الألمان الشرقيين بمزايا الديمقراطية البرلمانية، ومزايا اقتصاد السوق الحر.

أما في ألمانيا الشرقية، فقد تطورت الأمور منحىً معاكساً تماماً؛ فبينما كان هناك نظام دكتاتوري على النمط السوفييتي خلف ستار حديدي تحت اسم (الديمقراطية الجديدة لبناء الاشتراكية)، وتبيّن أن نظام الاقتصاد الاشتراكي الموجّه قليل الفاعلية، وكانت المعارضة السياسية تُقمع بعنف. ونتيجةً لذلك عدّ قرابة ثلاثة ملايين ألماني شرقي أن نتيجة التنافس بين ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية محسومة، فشدّوا الرحال ونزحوا هاربين إلى ألمانيا الغربية. وكان من شأن موجات الهجرة الجماعية إلى ألمانيا الغربية أن تُشكّل تهديداً لنظام الحزب الاشتراكي الألماني الموحّد، فكان ردّ فعل النظام بناء جدار عازل في 13 أغسطس عام 1961م، وأصبح عزل ألمانيا الشرقية عن الغرب تاماً، وفي الوقت نفسه إعلان إفلاس لنظام الحزب الاشتراكي الألماني الموحّد.

وفي ظلّ ذلك الجدار استطاع النظام الشيوعي أن يوطّد دعائمه من خلال اتّباع سياسة الترغيب والترهيب؛ فمن ناحية قام بتوسيع نطاق الخدمات الاجتماعية منذ بداية السبعينيات، وشرع في وضع برنامج إسكان، وزيادة العروض الاستهلاكية. ومن جهة أخرى تغلغل جهاز الاستخبارات في ألمانيا الشرقية بشكل متزايد في المجتمع، وأصبح الناس مجبرين في ظلّ وجود الجدار على التعاون مع النظام أكثر من ذي قبل، وقامت أغلبية الشعب بعقد تحالف صامت مع قيادة الدولة والحزب، مضمونه أن تعمل الحكومة على توفير فرص حياتية أفضل مقابل أن يتكيّف الناس سياسياً مع النظام.

واستمر تنافس النظامين بعد بناء الجدار؛ إذ كان الغرب حاضراً في كلّ مكان في ألمانيا الشرقية، وكان الألمان الغربيون يزورون أقاربهم في ألمانيا الشرقية، وراح 80٪ من الألمان الشرقيين يسرحون كل ليلة بعقولهم وقلوبهم إلى ألمانيا الغربية من خلال مشاهدة البث التلفازي الألماني الغربي. وكان ذلك البث يغطي معظم أرجاء ألمانيا الشرقية، وكان يوجد في كل بيت جهاز تلفاز بمنزلة نافذة مفتوحة على الغرب، يستطيع الناس من خلالها أن يقارنوا أوضاع حياتهم مع تلك التي تسود في الغرب.

سياسة القبضة الحديدية

في الثمانينيات؛ أي: في العقد الرابع من عمر ألمانيا الشيوعية، اتّضح أنها بدأت تخسر السباق مع الغرب؛ فبناء المساكن، والتسلح

إرهاصات انهيار الجدار

الاستهلاكية، والخدمات الاجتماعية، لم يتم تأمينها بالطاقات الذاتية، بل بالقروض الغربية التي لم يعد النظام في الثمانينيات قادراً على سدادها. أما القطاع الصناعي فقد كان منهكاً، والبيئة ملوثة إلى حدّ كبير، ووضع الإمداد بالسلع يزداد سوءاً، وأصبح الآباء قلقين على مستقبل أولادهم. وكانت الاستخبارات تقوم بملاحقة من يقوم بالنقد العلني، والدولة تراقب وتتحكم في جميع نواحي الحياة، ولم يعد الحزب قادراً على الوفاء بالتزامات التحالف الصامت مع الشعب، الذي يقضي بتوفير العيش الرغيد مقابل التكيّف مع ذلك الوضع السياسي. وعلى الرغم من أعراض تلك الأزمة كان الحزب الدكتاتوري في نهاية عقده الرابع يبدو كأنه لم يُقهر؛ فقد كان النظام يحوز على كلّ مقومات القوة ليثبت دعائم حكمه. وعلى الرغم من وجود جماعات معارضة هنا وهناك إلا أنها لم تكن تشكّل خطراً حقيقياً على ذلك النظام كما كان يُعتقد؛ فقد كانت السلطة تعدّهم مشاغبين ومزعجين للنظام العام، وأصحاب أيديولوجية غير مرغوب فيها، ومن ثَمّ غير مقبولين. لذلك لم يتردّد النظام عليهم، وفي نهاية المطاف تمّ اختراقهم من قبل الاستخبارات، وعزلهم عن المجتمع إلى حدّ بعيد. ثم إن تلك الجماعات المعارضة لم تحاول التغلب على النظام القائم، وما من أحد، سواء أكان داخل ألمانيا الشرقية أم خارجها، تصوّر أن الوضع الحالي في ألمانيا القائمة يمكن أن يتغير بشكل جذري. لذلك تزايدت أعداد الراغبين في مغادرة ألمانيا الشرقية إلى غير رجعة. ولم يكن أحد خارج ألمانيا الشرقية أو في ألمانيا الغربية يرغب في زعزعة الاستقرار في ألمانيا الشرقية؛ فقد كان الناس يخشون أن تقوم السياسة الشيوعية المتصلّبة بتولّي زمام الأمور، ليس في برلين الشرقية فحسب، بل أيضاً في موسكو. لذا لم يكن هناك أيّ سبب لأن تشعر قيادة الحزب الشيوعي الألمان بأنها تواجه تهديداً حقيقياً. إلا أنه في أواخر صيف عام 1989م وفي خريفه نشأت تلك الحركة الشعبية التي تخلّصت من دكتاتورية الحزب الاشتراكي الألماني من خلال ثورة سلمية أوجدت الظروف المناسبة لإعادة توحيد ألمانيا.

الذين تقدموا بطلب للحصول على تأشيرة للهجرة كانوا يتظاهرون من أجل السماح لهم بمغادرة ألمانيا الشرقية، وكانت جماعات أخرى تتظاهر ضد تزوير الانتخابات المحلية

العوامل التسعة للثورة

أما كيف حدثت تلك الثورة، فيتّضح لنا أن الثورة السلمية كانت نتاجاً لالتقاء تطورات مختلفة حدثت على مسارات متوازية، وكان يُكمل بعضها بعضاً إلى حدّ بعيد. ويمكننا هنا تحديد تسعة عوامل أدّت دوراً أساسياً في أحداث عام 1989م. وسوف نسرد هذه العوامل، مع التنبيه على أن الترتيب أدناه لا يشكّل تسلسلاً للأحداث.

لقد سبق الحديث عن أول عاملين، وهما: شعور النظام الحاكم الزائف بالأمان، وسخط الشعب الذي كان يتزايد بسرعة نتيجة للوضع السياسي المحبط، خصوصاً بسبب الوضع الاقتصادي المتردّي.

العامل الثالث هو الإصلاحات التي أدخلها ميخائيل غورباتشوف في الاتحاد السوفييتي ابتداءً من عام 1985م، التي امتنعت قيادة الحزب في ألمانيا الشرقية عن تنفيذها. لقد كانت المشكلات

8 (° *

لكّل من البلدين. أما ف الم شينيات وال شتينيات، فقد ا شتطاعت قيادة الزب ال شيوعي ن شويغ شيا شتها القمعية بالطابع العدائي لمهورية ألانيا التادية.

وف عام 1989م، ل تكن ال شيا شة القمعية العلنية للمظاهرات ال شلمية ت شكّل تهديداً للقرو ض المنوحة من الغرب فح شب، بل أدت أي شاً إل بلبلة ف أو شاط أع شاء الزب ال شيوعي ذاته؛ فعلى الرغم من وجود الدار ل تتمكن الدولة ذات الزب الواحد من الت شرّف بعزل عن الأنظار؛ فكلما قامت مظاهرة كان شحفيو ألانيا الغربية ي شارعون إل موقع الدث، وين شرون النفا شيل وردود الفعل ال شادرة عن ال شلطات ال شرقية.

أما العامل ال شابع، فهو قوة الإعلام ف الغرب، الذي تمكّن من أن يقوّ ض احتكار الزب ف ألانيا ال شرقية لو شائل الإعلام.

ولتجنّب شوء الفهم، فإن هذا التقوي هو و شف للو شع القائم آنذاك من منظورنا الا شر؛ فلم يكن الو شع ف ذلك الي وا شحاً على الإطلاق لكثي من النا ض ف ألانيا ال شرقية، وعلينا أن نتذكّر أنه ف يوم 4 يونيو عام 1989م، قامت قيادة الزب ال شيوعي ال شيني بقمع الحتجاجات الماهيية ال شلمية ف)ميدان ال شلم ال شماوي(ب شورة وح شية. وبعد أيام قليلة قامت قيادة الزب ف ألانيا ال شرقية بت شويغ هذه الأعمال ف شحيفة الزب. ومع ذلك، وا شتناداً إل الوثائق الني أ شبحت متاحةً الآن، والوار الذي تّ مع شهود العيان؛ فقد تبيّ أن قيادة الزب ال شيوعي الألان كانت تتحا شى القيام بالقمع العلني.

الانعتاق من السياج الحديدي

ف يونيو عام 1989م وقع حدث مهم خارج ألانيا ال شرقية ل يخفَ تأثيه على أحد؛ ففي يوم 27 يونيو عام 1989م قام وزيرا خارجية النم شا والجر بقطع ال شياج الدودي بي بلديهما ب شكل رمزي. وبذلك أ شبح ال شتار الديدي الذي ق شم أوربا على مدى أربعة عقود مو شع ت شاؤل؛ فقد وُلدت ف الجر قيادة شيوعية جديدة تقوم منذ عام 1988م بإ شلح النظام خطوةً بخطوة، وت شعى ف إلغاء هيمنة الزب. لكن الدود الجرية مع



تطم ال دار بداية عهد جديد للألمان ال شرقيي

النا ض القرار نفسه، ثم تبعتهم ع شرات الآلف ب شكل م شتقّل ومن دون أيّ دافع خارجي. لقد قرّروا جميعاً ال شفر إل الجر ف العطلة ال شيفية القبلة على أمل أن يجدوا هناك ثغرة ف ال شتار ال ديدي ينفذون من خللها إل الغرب. كانت حالة من اليأ ض الماعي تعتي الآلف من النا ض، ول يأمل أحد ف ذلك ال ي ف أن يتغيّي الو شع ف ألانيا ال شرقية ف ال شتقبل القريب، بل انتابهم إح شا ض بأن شيف عام 1989م قد يفتح الباب أمامهم للهروب إل الغرب للمرة الأخية، وأن عليهم أن ي شتغلوا الفر شة قبل أن ي شدد النظام قب شته من جديد بعد احتفالت الذكرى ال شنوية الأربعي لقيام جمهورية ألانيا الديقراطية ف شهر أكتوبر. وهكذا انطلق آلف الأفراد وهم على وعي بأنهم شيتكون وطنهم وعائلتهم وأ شدقاءهم مدة طويلة، ويفقدون أملكهم إل الأبد ف مقابل الهجرة إل الغرب.

وف مناطق ال شطياف ف الجر، خ شو شاً على شفاف بحية بالتون، تمعت ح شود من الألان ف م يمات شخمة ف انتظار فر شة للفرار. وكان تخطّي ال دود م فوفاً بخاطر جمة. وف يوم 19 أغ شط ض عام 1989م، وعلى هام ض احتفال الجريي والن شاوي على ال دود بالقرب من بلدة شوبرون، حدث نزوح جماعي. ونقل التلفاز لقطات لئات من مواطني ألانيا ال شرقية رجالً ون شاءً وأطفالً وهم يهرولون عب ال دود إل ال رية، من دون أن يعت شهم حر ض ال دود الجري؛ م ا جعل الزيد من الواطني ف ألانيا ال شرقية يقومون بحزم أمتعتهم للرحيل. وآخرون كانوا يأملون من أن يتمكنوا من الغادرة عن طريق اللجوء إل م ثلية جمهورية ألانيا التادية ف برلي ال شرقية، وإل شفاراتها ف وار شو وبراغ وبوداب شت؛ م ا ا شطر ال شفارات الألانية إل إغلق أبوابها مؤقتاً ب شبب التدفّق الكبي. وف يوم 11 شبتمب عام 1989م قامت الجر ر شمياً بفتح حدودها مع الغرب لواطني ألانيا ال شرقية، وكانت شور النازحي تعر ض يومياً ف ألانيا ال شرقية.

التقاء خطين متوازيين

ومن واقع هذه الأحداث يتّ شح كيف التقى معاً خطان متوازيان من التطورات: ال شيا شة الإ شلحية ف الجر، التي شجّعها غوربات شوف، وحركة الهروب ال ماعي من ألانيا ال شرقية. ف هذا الو شع أعلن رئي ض الدولة وال زب إيري ض هونيكر ف 14 أغ شط ض عام 1989م ف جملة بليغة: »ل شيء ي كن أن يوقف م شية ال شتاكية«. وف 2 أكتوبر عام 1989م قال: »ينبغي علينا ألّ نذرف دمعةً واحدةً على أولئك الذين فرّوا من وطنهم«. وبهذا نأي إل

ما برحت شغيةً، مطّ اهتمام و شائل الإعلم الغربية. ون شأت منظمات جديدة تمل أ شماء ذات دللت تقدمية؛ مثل: »النطلقة الديقراطية«، و»الديقراطية الآن«، و»النتدى ال ديد«.

تمدد المظاهرات

ومع نأ شي ض الزب الديقراطي الجتماعي شنّت م موعة شجاعة من ن شطاء الجتمع الدن هجوماً على الزب ال شتاكي الوحّد، الذي ن شأ عام 1946م عب دمج ق شري بي الزب ال شتاكي الديقراطي والزب ال شيوعي الألان. وبلغ العجز ال شيا شي للحزب ومطالب العار شة ببدائل الذروة ف 7 أكتوبر عام 1989م، ف اليوم ض جمهورية ألانيا



ومردّدين شعارات «لا للعنف»، و«نحن الشعب». ومرّت المسيرة أمام مقرّ المخابرات، ورنّت بنشيد الأممية، ورفعت الصوت عند الوصول إلى المقطع «الأممية تناضل من أجل حقوق الشعب».

أما سلطات الأمن الحالية، فقد كانت تنتظر الأوامر من برلين بإيقاف الظاهرة أو قمعها. لقد غصّت الشوارع بجموع الناس، واستخدام القوة يعني حمّام دم لا محالة. ولكن لم تأتِ أية أوامر لقوات الأمن بالتدخّل. وأحاطت جموع الناس بمركز المدينة، وفي هذه الساعات انطلقت الثورة السلمية وتبلورت. في ذلك اليوم تمّ قطع الاتصالات مع مدينة لايبزيغ. وفي برلين تجمّعت المعارضة في إحدى الكنائس في انتظار الأخبار من لايبزيغ. وأخيراً، جاءت مكالمة هاتفية طال انتظارها، كان فحواها لقد أحاط المتظاهرون بقلب المدينة ولم تتدخل الشرطة. فضجّ الحاضرون عند سماع الخبر بالتصفيق والهتاف.

عجز سياسي

في غضون ذلك انطلق سائقان بسيارة من لايبزيغ إلى برلين يحملان مادة مهمة، هي شريط فيديو للقطات سرية للمظاهرة الضخمة في لايبزيغ، وتم تهريب الشريط عقب وصوله من برلين الشرقية إلى برلين الغربية بمساعدة صحفي غربي. وفي تمام الساعة العاشرة والنصف مساءً تمّ بثّ تلك الصور التي وصلت إلى مواطني ألمانيا الشرقية عبر نشرة الأخبار التلفازية الغربية الأخيرة. وكان بوسع الجميع أن يتأكدوا بأنفسهم من أن قيادة الحزب لم تجرؤ على التحرك ضد المتظاهرين. وكانت شجاعة عشرات الآلاف من الرجال والنساء في لايبزيغ وغيرها من المدن على الخروج إلى الشوارع في ليلة 9 أكتوبر، والمخاطرة بحريتهم، وربما بحياتهم، هي العامل الحاسم الذي أدى دوراً حاسماً في التغلب على الحزب الدكتاتوري في خريف عام 1989م. لقد كان المتظاهرون مثالاً يُحتذى به للشجاعة على النزول في الأيام والأسابيع التالية إلى الشوارع، والسيطرة على الساحات العامة في جميع أنحاء ألمانيا الشرقية معرّضين أنفسهم للخطر.

وظلّ الوضع كما هو حتى تبرّأت أخيراً مجموعة صغيرة من قيادة الحزب في 17 أكتوبر عام 1989م، وقامت بعزل رئيس الحزب ورئيس الدولة أريش هونيكر، الذي كان مريضاً وعاجزاً عن الإصلاح. وجاء خلفاً له السيد إيغون كرينتس، الذي كان يُعدّ بمنزلة وليّ عهد هونيكر، وهو الذي قام في صيف ذلك العام بتسويغ مجزرة ساحة السلام السماوي في الصين، وراح الآن يعد بـ«تحوّل» (سياسي في ألمانيا الشرقية). لكن لم تكن لديه رؤية سياسية حقيقية، وكان واضحاً أن الحزب لا يريد التخلي عن السلطة والهيمنة على زمام الأمور، بل كسب الوقت من خلال تغييرات شكلية لكي تتراجع حدة الاحتجاجات.

ولكن الشعب لم يثق بذلك الموظف الشيوعي البيروقراطي، الذي وقع في زلة في أول حديث تلفازي له؛ إذ خاطب المشاهدين بالمصطلح الشيوعي: «أيها الرفاق والرفيقات الأعزاء». وكان عدم وجود الرؤية الواضحة، وخطوات الإصلاح المترددة لكرينتس ورفاقه، برهاناً مجدداً على العجز السياسي للحزب. وبعدما استسلمت أجهزة السلطة أمام المتظاهرين، وأصبح واضحاً أن القوات السوفييتية ستبقى على الحياد، ازداد ضغط الشارع باستمرار خلال شهر أكتوبر عام 1989م. وفي يوم 4 نوفمبر تجمّع أكثر من نصف مليون شخص في مظاهرة ضخمة في ميدان ألكسندر في برلين الشرقية، ونقل التلفاز الرسمي لألمانيا الشرقية الخطب التي ألقيت في هذه المظاهرة. وتسرّبت خلال تلك المظاهرة إلى نفوس كثيرين مشاعر الخوف والتوتر من أن تلجأ السلطات إلى استخدام قوة السلاح.

وبينما كان الناس يخرجون للتظاهر يوماً بعد يوم إلى الشوارع في جميع أنحاء ألمانيا الشرقية، وبينما كان المزيد من المجموعات من مختلف المهن والشخصيات البارزة تطالب بإصلاحات عاجلة، كانت حكومة كرينتس تعمل على الإصلاح بسرعة وتخبّط، فتمّ التركيز في مسألة حرية السفر. وأدت أول مسوّدة لقانون السفر إلى زيادة أخرى في المظاهرات. وفي يوم 9 نوفمبر وافق الحزب على مسوّدة جديدة لقانون السفر، وتمّت الموافقة على تسهيل إجراءات المغادرة لمن يريد المغادرة بشكل دائم، من دون أن يُطلب منه عرض أسباب خاصة. ولم تكن هناك لوائح تنظّم رحلات السفر للزيارة أولقضاء إجازة قصيرة في الغرب. وأصبح هذا القانون وثيقة تاريخية.

في مساء يوم 9 نوفمبر تلا عضو المكتب السياسي للحزب في ختام مؤتمر صحفي قانون السفر الجديد. وفي إجابته عن أسئلة الصحفيين حول الوقت الذي سيدخل فيه هذا القرار حيّز التنفيذ، ردّ غونتر شابوفسكي مرتبكاً ومن دون تركيز على ما يبدو قائلاً:

»على الفور«. وأدرك الشحفيون أن ذلك شيحدث شجة كبية؛ ففي
تام الشاعة الثامنة مشاءً أعلنت أهم قناة إخبارية ألانية غربية أن
جمهورية ألانيا الشرقية فتحت الحدار أمام الراغبي ف الرحيل.

انطلق النا ض ف برلي الشرقية غي مشدّقي ما شمعوه إل
العابر الحدودية. أما حر ض الحدود فلم يكن لديه علم بشيء. وتوافد
النا ض من كل حدب وشوب باتاه الحواجز الحدودية. وعندما ازداد
الشغط على الحدود قرّر رئيش حر ض الحدود ف نقطة عبور شارع
بورن هول فتح الحدود على مسؤوليته، مبقاً إل قيادته »أن شيول
البشر شتجرفنا«. فتدفقت جموع البشر عب الحدار والذهول يشيطر
عليهم، والدموع تترقرق ف أعينهم. ثم اشتمر فتح نقاط العبور
الحدودية الواحدة تلو الأخرى، وشهدت برلي أجمل ليلة ف تاريخها.

ومع شقوط الحدار بشكل غي مخطّط له، الذي جاء بتعاون
الشلطات من جهة، وبفشل نشيم الماهي من جهة أخرى؛
فقدت قيادة الحزب الشيوعي آخر ورقة مشاومة كانت تشتخدمها
ف الفاوشات مع شعبها، خشوشاً مع الغرب.

نهاية المطاف

ويتّشح هنا أن الشار التال ف اتاه تبنّي الديقراطية ف
ألانيا الشرقية بوشفها جزءاً من هذه الثورة الشلمية، وكذلك الشار
النهائي لإعلن الوحدة ف 3 أكتوبر عام 1990م، ل يكونا متوقعي
إطلقاً يوم 9 نوفمب. ولكن عند شقوط جدار برلي، وفتح الحدود
بي شطري ألانيا، وشلت الأمور إل نقطة ل رجعة فيها. ومن هذه
[illegible] القيادة [illegible] داخل [illegible] ح Ni

الدراما التعليمية

جميل حمداوي
الناظور - المغرب

تعليم

يقول باتريس بافيس Patrice Pavis عن هذه التقنيات الإجرائية: «التقنيات المسرحية مجموعة من الأساليب المنهجية في التأليف الدرامي للاستعمال الفعّال على الخشبة، وفي الأداء التمثيلي للممثّل. كما أن التقنية المسرحية تعيد تجميع الإعداد المسرحي والسيميائي للعرض وفن الممثّل، وهي في حالات أخرى تقدّم كأنها توجّه جمالي، وهذا الشيء يساعد على التحليل والانطباع النقدي»(1). ومن هنا، تعدّ مسرحة المناهج والمقررات والبرامج والدروس الصفية مهما كان نوعها تقنيةً دراميةً مهمةً، وطريقةً ناجحةً لتشخيص المطبات التعليمية - التعلّمية في أحسن الظروف الممكنة والمتاحة.

إذاً، ما الدراما التعليمية، أو ما يُسمّى أيضاً بمسرح الدروس الصفية؟ وما مقوّمات هذه الدراما التربوية؟ وما مكوّناتها البنيوية ومفاهيمها النظرية؟ وما وظائفها الأساسية؟ وكيف يمكن الاستعانة بالدراما التعليمية على مستوى التطبيق والتنفيذ في مؤسساتنا التربوية؟.

مفهوم الدراما التعليمية

نعني بالدراما التعليمية مسرحة المناهج والبرامج والمقررات الدراسية لخدمة الطفل المتعلّم، وتحقيق الوظائف التربوية والتعليمية من وراء تقديم المطبات التعليمية داخل الفصل الدراسي. ومن هنا نتبنى الدراما التعليمية على مسرح الدروس وتنشيطها على ضوء آليات تنشيطية درامية؛ كاستخدام الألعاب، وتبادل الأدوار، وتقليد الشخصيات. ويتطلب تدريس الخطاب مثلاً استخدام مجموعة من الألعاب التمثيلية، بينما تستلزم قراءة النصوص المسرحية أو القصصية أو الشعرية من المتعلم تقليد الأصوات الغيرية نطقاً وحركةً وتعبيراً وتشخيصاً. كما تحتاج مواد التربية الإسلامية إلى التمثيل الدرامي لتشخيص مجموعة من المواقف والقيم الأخلاقية؛ بقصد تعلّمها واكتسابها وتمثّلها.

ويرى الباحث المغربي جمال كويندي في كتابه (المسرح المدرسي) أن هذه الدراما تعتمد على «نص مسرحي مكتوب؛ مما يجعل الأطفال يتعاملون مع أدوار محددة حسب مواصفات معينة على المستوى التقني أو الحوار أو الفكرة. كما أن هذا النشاط المسرحي يقدم لأطفال آخرين، وبذلك يمكن تحقيق الدراما با

يفعله الأطفال والمسرح حيث متعة المشاهدة والفرجة. كما يمكن للتلميذ في هذه الحالة اعتماد نصوص أخرى تعتمد على ألفاظهم الشخصية تحت إشراف المعلم، أو أن المعلم يعدّها من مواد أخرى لتدخل ضمن المسرح التعليمي بما هو بسيط ومتنوع يحتوي معطيات معرفية مبنية على أحداث ووقائع تاريخية أو غيرها، وفي نفس الوقت تعلمهم مقتدرين على تتبّع فرجات مسرحية أخرى، والإفادة منها... ويبقى أن نذكر كلمةً أخيرةً بهذا الصدد، أن المكان الذي تقدم فيه هذه الأعمال، والذي ليس إلا الفصل الدراسي، بحيث تتحوّل حجرة الدرس إلى مسرح، والأطفال هم الممثلون والجمهور في نفس الوقت. كما أن المتطلبات المسرحية للعرض المقدم يقترح أن تكون من البساطة، بحيث لا يشعر الأطفال المتعلمون بأي نوع من الضيق أو الاستغراب لها، وبذلك فإنهم مدعوون للإسهام في إنجازها أو إحضارها وما هو متوفر لديهم وفي بيئتهم»(2).

وعلى العموم، فالدراما التعليمية هي التي تسخّر المواد التربوية ودروس المقرر ووحدات المنهاج الدراسي في شكل فرجات مشهدية وحوارات مسرحية، يشارك في إعدادها كلّ من المدرس والتلميذ داخل الفصل الدراسي أو قاعة الدرس المخصصة للعروض الفنية أو الحفلات المدرسية.

مقومات الدراما التعليمية ومكوّناتها النظرية

تستند الدراما التعليمية إلى مجموعة من المقومات النظرية والأسس المنهجية التي ينبغي الانطلاق منها لتطبيق هذه الدراما داخل الفصل الدراسي، وتفعيلها بشكل مستمر ودائم في مؤسساتنا التربوية والتعليمية من أجل تحقيق الجودة الكمية والكيفية.

[illegible] الدروس اللغوية

الدراما التعليمية طريقة تربوية ناجحة وناجعة من أجل رفع مستوى التلاميذ داخل الفصل الدراسي، وتخليص الأطفال المتعلمين من عقدهم النفسية والاجتماعية

إل م رج م سرحي من خلل نوظيفه خطاباً نوا سلياً دراميًا، سواء أكان لفظياً أم غي لفظي عن طريق ن سغيل اللغة العبة وا سنخدام الركات الهادفة. بينما النلميذ ي سكّلون المثلي وال ساهدين الرا سدين على حدّ سواء. أما الق سم وم سطبنه فهما بنزلة ال سبة الركحية، ف حي ن سبه القاعد والطاولت والكرا سي وال سور العلقة على الـدران ما ي سمى بالنأثيث ال سينوغراف.

هـذا، ويكن «ا سنخدام هـذا النوع من ال سرح النعليمي - ح سب الأ سناذ سال كوينندي - على أو سع نطاق لنقدي م نلف الواد والناهج الدرا سية ب سكل يربط الطفل بدر سنه.. لا فيه من ن سويق، وللدور الإيجابي الذي يعطيه للطفل ف العملية النعليمية، بحيث يكون هنا النمنيل م سنخدماً كطريقة للنعليم؛ أي أنه طريقة لنعليم الو سوعات، ف حي نكون الـدرامـا الإبـداعـيـة والنمنيل النلقائي، فهو الو سيلة الني يكن عن طريقها أن ي سبح الأطفال قادرين على ا سنخدام النمنيل ل كو سيلة للنعليم، بل كإعادة النمنيل حنى ي سنطيع الأطفال فهم الناريخ والـغرافية، أو القـراب من الو سوعات العلمية، أو نـذّوق الق س س الدينية والأدبـيـة. وبهذا الفهم نقرب من نوع آخر ف ال سرح الدر سي هو م سرح الناهج، الذي يُعنمد فيه على الأطفال بعد إعادتهم للنمنيل بوا سطة الدراما الإبداعية والن ساط النمنيلي للطفل أو النمنيل النلقائي؛ لأنه من دون هذه الرحلة ل ي كننا الإقدام على نقدي م سرحيات الناهج»[3].

وعليه، فلبد للمدر س أن يحوّل درو سه إل م ساهد ولوحات وحركات درامية داخل الف سل الدرا سي أو خارجه، ويخنار لها الكان والزمان النا سبي، وينقي النلميذ الذين لهم الرغبة ف النمنيل والنقليد من أجل أداء ال سرحيات ارتالً، بعد أن يخنار لهم الن سو س الني نكون قريبةً إل نفو س الأطـفـال وميولهم وأهـوائـهـم واتاهانهم النف سية، فنحقق لهم الن سلية والنعة والر فيه، كما ننمي مداركهم العرفية والنعليمية.

ول بد من تنيل الب ساطة ف أداء الأدوار ال سرحية، والبنعاد من الغمو س والنجريد، وا سنبدال كل ما هو نقريري مبا سر قريب من عال الأطفال بهما، ويكون ح سب م سنواهم العمري وحاجانهم النف سية والجنماعية.

وعـلـى الـدر ـس الـكـفء و ـسع «مـ موعة مـن الأ ـسـ ـس لـبـنـاء

عُرفت الدراما بأنها اصطلاح يطلق على أيّ موقف أدبي ينطوي على صراع، ويتم تمثيله، عن طريق افتراض وجود شخصيات على الأقل، أو أنها مجموعة من مسرحيات تتشابه في الأسلوب أو في المضمون، وهي شكل من أشكال الفن قائم على تصوّر الفنان قصةً تدور حول شخصيات تتورّط في أحداث معيّنة، وهذه القصة تحكي نفسها عن طريق الحوار المتبادل بين الشخصيات. ويمكن عملياً تقديم قصة بهذا الشكل في عرض مسرحي تامّ خالٍ من الحوار. والفن الدرامي هو الذي تكون فيه الكلمات وسيلة للتعبير عن أفكار الأشخاص الذين تخيّلهم الكاتب. وبهذا المعنى الكلمات وحدها تخلق الكاتب الدرامي حبكةً، لها شكل وهدف، وتلتزم الحدود الحرفية للرواية والزمان والمكان. والحديث الدرامي لا يقتصر على التعبير عما يجري بين الأشخاص، بل يتناول تشريح الأفعال التي يقوم بها الأشخاص في حدود علاقة أحدهم بالآخر، إضافةً إلى توضيح المواقف التي يشتركون فيها داخل حدود العالم الدرامي الذي يتخيّله الكاتب. كما أن العلاقة الدرامية صراع لا يقتصر على علاقة الأشخاص بعضهم مع بعض، بل يتعدى إلى علاقتهم بالقوى الخارقة المحيطة بهم. والدراما الإغريقية لم تكن نصوصاً تُكتب، ولا قواعد تُتّبع، وإنما كانت حياةً تُمارس، وواقعاً يُعاش، وشعائر تُؤدّى، وأساطير تُحفظ عن ظهر قلب. وكلمة (دراما) تعني في أصلها اليوناني الشيء المؤدّى، أو الأداء، في حين تعني كلمة (مسرح) مكان المشاهدين، ثم أصبحت تعني المشاهدين أنفسهم، ثم تدرّج معناها ليصبح العمل المسرحي ذاته. والدراما - بشكل عام - جاءت من المصادر الأولية التي سبق ذكرها، وأدت إلى ظهور الملاحم، خصوصاً الهوميرية. وبعد مجهودات النشوء الطبيعية بدأت مرحلة جديدة مع عبادة ديونيسوس إله الخمر، الذي يمثّل قوى الإخصاب في الطبيعة، إضافةً إلى أنه المخلّص والمحرّر. فالشعر الديونيسي يغنّى في التعبير عن الأحاسيس، ومتأثر بإيقاع اللغة اليونانية، وتنوّع نغمات موسيقاه المتفاوت. فيه انتقال سريع من المرح والنشوة إلى المعاناة والقسوة، ومن الجنون الصاخب إلى الغزل الوجداني، وهذا كله يتمشّى مع طبيعة الاحتفالات الديونيسية؛ فالحرية والتنوع والخروج عن القيود الصارمة هي من العوامل التي جعلت من الأغنية الديونيسية الجماعية البذرة الصالحة لنشأة فن الديثرامب(*)، ومن ثَمّ الدراما بفروعها الرئيسية: التراجيديا، والكوميديا، والميلودراما.

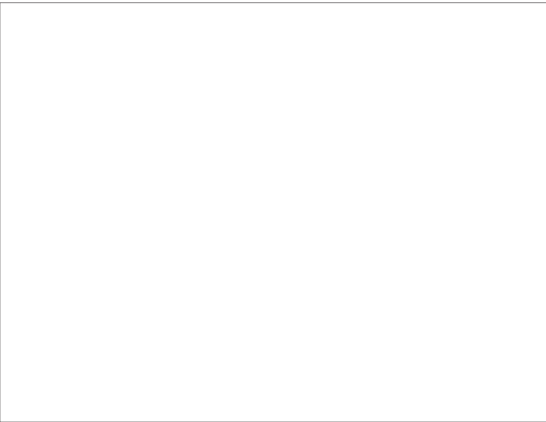
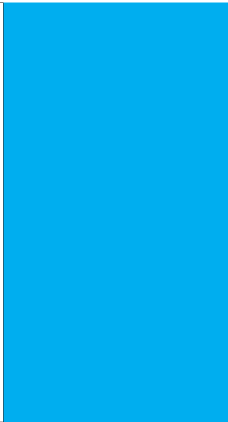
الوحدات الدراسية ومسرحتها، مع تقديم الخطوات اللازمة لتدريس الوحدات الدراسية الممسرحة؛ أي: تقديم طريقة ملائمة لتدريس اللعبات الدرامية داخل الفصل، وتجريب إمكانية استخدام اللعبة الدرامية كأسلوب للتدريس؛ لإمكانية تعرّف مدى تأثيرها في التحصيل المعرفي وفي الاتجاهات العلمية والتفكير العلمي للتلاميذ، وذلك من خلال مجموعة القاعات المعدة لهذا الغرض. والأطفال يدخلون المسرح، ولكن ليس كمتفرجين أو مشاهدين لعرض من عروض الأطفال، وإنما كمشاركين في العمل المسرحي. من خلال هذه المشاركة يتلقّون دروسهم، ويستكشفون طبيعة المنهج الدراسي المقرّر عليهم، وينتقلون من مرحلة استظهار الدروس إلى مرحلة معايشتها، ويكون مسرحهم هو قاعة الدرس، ومدرسهم معهم، ولن نسمّيه مخرج العرض، ولكن نسمّيه مدرس الدراما. ومن خلال هذه الطريقة يشترك التلاميذ في مشكلات العلاقات الإنسانية عن طريق تمثيل المشكلات في مواقف، ثم مناقشة الموقف الدرامي من خلال استخدام اللعبة الدرامية كأسلوب للتدريس، وذلك فيما يتعلق باكتشاف المعرفة وتحقيق نمو التفكير العلمي»(4).

لابد للمدرس أن يحوّل دروسه إلى مشاهد ولوحات وحبكات درامية داخل الفصل الدراسي أو خارجه، ويختار لها المكان والزمان المناسبين، وينتقي التلاميذ الذين لهم الرغبة في التمثيل والتقليد

الهوامش والمراجع

(*) الديثرامب: أغنية جماعية تؤديها جوقة تقوم ببعض الحركات التعبيرية والرقصات التي تشرح معاني الكلمات.

1- ترحيني، د. فايز، الدراما ومذاهب الأدب، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1408هـ/ 1988م.
2- يحيى، لطفي عبدالوهاب، المسرح المصري، الكويت: مجلة عالم الفكر، م15، العدد 1، ص18.
3- شرشار، حسين رامز، الدراما بين النظرية والتطبيق، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الموسيقا عنصر مسرحي مهم

وهكذا، يتبيّن لنا أن الدراما الإبداعية أساسها هو تحويل المادة المعرفية التي يتضمّنها المنهاج أو البرنامج الدراسي السنوي إلى خبرات تعليمية وتعلّمية سهلة وميسّرة ومبسّطة في شكل أهداف إجرائية، أو وحدات سلوكية واضحة، أو كفايات وضعيات تتدرج من مستوى السهولة إلى مستوى الصعوبة عبر وسيط فني يتمثّل في الفرجة المسرحية التي يكون فيها التلاميذ مرسلًا ومتلقّيًا، أو ممثّلًا وراصدًا، أو لاعبًا ومتفرّجًا.

وظائف الدراما التعليمية

من المعروف أن للدراما التعليمية وظائف كثيرة؛ إذ تساعد على توضيح الدروس وشرحها، وتذليل الصعوبات، والجمع بين التسلية والتعليم، وإفادة العقل وإمتاع الوجدان، وتحريك الطفل المتعلم ذهنيًا ووجدانيًا وحركيًا لبناء دروسه اعتمادًا على ذاته عن طريق المحاكاة والتقليد وتبادل الأدوار الدرامية. كما تسهم الدراما التعليمية في الحدّ من الروتين والتكرار، وتفادي رتابة الدروس التي تجعل المتعلم منفعلًا وسلبيًا غير فاعل ولا مشارك. كما تجنّب الدرس سلبيات الطرائق البيداغوجية التقليدية القائمة على التلقين والتوجيه.

وتأسيسًا على ما سبق، فالمسرحية التعليمية تهدف إلى الشرح والتفسير والإرشاد والتنوير والتبسيط، وتلتجئ إلى «استخدام المسرح أداةً تعليميةً مباشرةً كالمسرحية الإرشادية التي استخدمتها الكنيسة لتفسير العقائد وشرحها للجمهور، وهذا ما شهدته العصور الوسطى حيث وضعت العناصر التعليمية في خدمة الوعظ الإرشادي الديني. ولذلك، تعدّ مسرحيات الأسرار والخوارق والمسرحية الأخلاقية مسرحيات إرشادية تعليمية لتفسير عقائد الكنيسة وشرحها للجماهير. ولقد كان الهدف من وراء ذلك هو تثبيت عقيدة الشعب الأمّي وتقويتها.. والمسرحية التعليمية هي تلك المسرحية التي يكون الهدف الأساسي منها هو إدخال فكرة معينة في أذهان الجماهير، والعادة أن تكون فكرة دينية أو سياسية أو اجتماعية»(5).

ومن هنا، فالهدف من الدراما التعليمية هو تلقين ال[illegible]بات التعليمية للمتعلمين، وتسهيل الدروس الصعبة على التلاميذ ببساطة ومرونة، وتقديمها إليهم بأيسر السبل عن طريق اللعب والمحاكاة والارتجال، وتمثيل المواقف الصعبة، وتشخيص الوضعيات الكفائية لإيجاد الحلول لها، مع انفتاحنا على البيداغوجيا المعاصرة، وتمثّل الطرائق الفعالة الداعية إلى الحرية واللعب والاكتشاف والإبداع والتعلم الذاتي؛ أي أن للدراما التعليمية عدة وظائف يمكن حصرها باختصار في التثقيف، والتوجيه، والإرشاد، والإمتاع، والتسلية، والترفيه، والإقناع، والتبليغ، والحجاج، وتذليل الصعوبات التربوية، ودعم التعلم معرفيًا ووجدانيًا وأخلاقيًا. كما أن هذه الدراما تعمل على تنمية مدارك التلميذ الذهنية والفنية والجمالية والتعليمية، وترقى ذوقه ووجدانه وشعوره الفني. كما تساعده على الحركة الإيجابية، والتحول الديناميكي. زدْ على ذلك أنها تعلّمه فلسفة الانضباط، وضرورة الاندماج داخل الجماعة، وتعلّمه أيضًا العمل الدائم والمستمر في إطار فريق تربوي، والت[illegible]هار في الجماعة الصغرى والكبرى، مع الإيمان بنجاح سياسة التسيير الداخلي داخل المؤسسة التعليمية من أجل تحقيق نجاحها الداخلي والخارجي.

تقنيات تنفيذ الدراما التعليمية

بعد التفصيل النظري للدراما التعليمية في الشق الأول من هذا المقال، ننتقل إلى الشق الثاني الذي يتمثّل في الجانب

التطبيقي والتنفيذي والإجـرائـي. ومـن هنا،
نؤكّد أن الدراما التعليمية، أو ما ي سمى أي ساً
ب سرح المناهج والمقررات، ترتكز على قراءتي أ سا سيتي
ومتكاملتي، وهما: القراءة الإيطالية)القراءة على
الطاولة(، والقراءة الميزان سينية)القراءة
الإخراجية أو الركحية(.

القراءة الإيطالية

تبدأ القراءة الإيطالية بقراءة تلميذ الف سل للن سّ
الذي يرغب الدر س ف أن يحوّله إلى ن س م سرحي عدة
مرات، فيقوم الدر س/ المخرج ب سرح الكلمات ال سعبة
والمغلقة، وتف سي معان الن س ف أبعادها المبا سرة وغي
المبا سرة. وبعد ذلك يق سم الدر س مع تلمذته الن س إلى مقاطع
ومتواليات وفقرات م سبوطة، مع تديد أفكارها الأ سا سية
ومـقـا سـدهـا الـعـامـة. ثم يجزئ الدر س بعية تلميذه
الن س الـدرو سـ إلى م سا هد
حوارية ح سب المعيار المدني
أو ال سخو سي أو الف سائي
سمن ثـلـثـة ف سول سغرى
مـتـ سـرة حـواريـاً ومكثفة
حـدثـيـاً، تـ سـمـل الـبـنـيـات
الـثـلـث لـلـمـ سـرحـيـة،
وهـــي: الــبــدايــة،
والعقدة، والحل.

وللتنبيه، فحين يختار المدرس أو التلميذ نصاً مسرحياً ما، أو خطاباً نثرياً عاماً، فمن الضروري تحويله إلى نص حواري مسرحي يحترم البنية الدرامية (البداية - العقدة - الصراع - الحل - النهاية)، واختيار الشخصيات المحورية والثانوية والعابرة، والاستعانة بالإرشادات المسرحية التي تحدّد وصفية المكان والفضاء والسينوغرافيا بشكل واضح وحركي ووظيفي.

وعند الانتهاء من عملية الفهم والتفسير يوزّع المدرس الأدوار على التلاميذ اعتماداً على مجموعة من الشروط الفيزيولوجية والنفسية وسمات الشخصية المقاربة. وبعد ذلك، يطالب المدرس الممثلين الحاضرين بقراءة حواراتهم بصوت واضح ومعبّر، مع احترام شروط الفصاحة والبلاغة وتنويع الصوت، ويحدّد لهم أسبوعاً لحفظ أدوارهم عن طريق التكرار والتمرين والترتيل والتثبيت والمراجعة والاعتماد على القرائن السياقية الداخلية والخارجية.

القراءة الميزانسينية

بعد الانتهاء من القراءة الإيطالية أو ما يسمى بالقراءة على الطاولة، ينتقل المدرس المخرج إلى القراءة الميزانسينية التطبيقية لترجمة ما هو نظري ولفظي ونصي إلى ما هو مجسد وملموس فوق خشبة المسرح. ومن ثمّ، يطالب المدرس الممثلين الصغار بتمثيل أدوارهم فوق خشبة الركح باستعمال الحركات والإشارات والإيماءات والرقصات، والاستعانة كذلك بالأغاني والأشعار والأناشيد والألعاب والفكاهة الساخرة، وترجمة كل كلمة حوارية إلى حركة مشخصة، مع استعمال حركات تعبيرية كوريغرافية وظيفية منسجمة مع أحداث المسرحية. ومن الضروري للمدرس أن يلقن التلميذ كيف ينتقل فوق خشبة الركح يساراً ويميناً، أفقياً وعمودياً وتقاطعياً، وكيف يحترم تواجه الجمهور من خلال النظرة الأمامية أو النظرة الجانبية.

وعليه، فلابد أن يعيد الممثل دوره عدة مرات. وبعد تمثّل الدور واستيعابه جيداً، ينتقل إلى تشخيص دوره ميزانسينياً بالديكور ورفقة السينوغرافيا الوظيفية. ومن الأحسن أن يشرك المدرس تلامذته الممثلين في كيفية بناء الديكور، واختيار الأقنعة والماكياج، وانتقاء الملابس الوظيفية، واستعمال الإضاءة، وتأثيث الخشبة الدرامية، أو غيرها.

وق [illegible] إلا

الدراما التعليمية تساعد على توضيح الدروس وشرحها، وتذليل الصعوبات، والجمع بين التسلية والتعليم، وإفادة العقل وإمتاع الوجدان ، ودفعه إلى المحاكاة وتبادل الأدوار

يؤدون أدوارهم الميزانسينية والركحية إلى حركات تسخينية أولية هادفة تعتمد على تمارين الاسترخاء، وتمارين التنفّس، والاستعانة بالحركات الأفقية والعمودية والمستقيمية، وتعاقب الحركات الدائرية والمستقيمية، وتشغيل الجسم بمجموعة من الألعاب لترويض الجسد بدنياً وحركياً ونفسياً، وترويض الصوت بقصد التحكم في طبقات التلفظ التعبيري ودرجاته ومستوياته النطقية. كما ينبغي على المدرس أن يعوّد تلاميذه على التدقيق في التعبير والانفعال، والاسترشاد بالذاكرة الانفعالية والعاطفية الصادقة. وتنتهي كل هذه العمليات التدريبية بالاسترخاء الجسدي والنفسي.

وتوليه إلى فضاء سعيد ومطمئن، يحسّ فيه التلاميذ بالفرحة الكبرى والسرور والاستقلالية والاحترام والأمن والراحة والمستقبل الزاهر.

فما أحوجنا اليوم - نحن المدرسين - إلى تطبيق الدراما التعليمية لمسرحة مناهجنا التربوية؛ لكي نقترب أيّما اقتراب من عالم التلاميذ المبنيّ على حب المسرح، والتعطش إلى التثقيف الهادف، والتسلية الإيجابية، والترفيه البنّاء!.

تركيب

على أيّ، فالدراما التعليمية طريقة تربوية ناجحة وناجعة من أجل رفع مستوى التلاميذ داخل الفصل الدراسي، وتخليص الأطفال المتعلمين من عقدهم النفسية والاجتماعية؛ بقصد إعادة إدماجهم في جماعات الفصل، ومعاملتهم شعورياً ولاشعورياً. كما أن هذه الدراما آلية فعالة لتحقيق مدرسة النجاح القائمة على الفلسفة الإبداعية والتسيير الذاتي والتنشيط المؤسساتي، ومن ثَمّ فهذه الدراما أفضل طريقة لتعليم المتمدرسين ما يصعب عليهم وما استغلق واستشكل، وآلية إجرائية للدعم والنجاح، وتنشيط الفصل الدراسي

الهوامش

1- A regarder: Patrice Pavis: Dictionnaire du theatre، Edition Sociales، Paris، 1980.

2- سالم كويندي، المسرح المدرسي، مطبعة النجاح الجديدة، الجديدة، الطبعة الأولى، 1989م، ص40.

3- المرجع السابق، ص31.

4- د. محمد مبارك الصوري، مسرح الطفل وأثره في تكوين القيم والاتجاهات، مجلة حوليات كلية الآداب، الكويت، الحولية 18، 1997- 1998م، ص55.

5- المرجع السابق، ص58.

أنتِ!

سعد البواردي

الرياض - السعودية

لحُت ف عينيك سمت إبا
لحُت ف عينيك سوت سجر
كأنا العينان رجع هوى
لعا سق ف أهله ما عذر

قد نهجرٍ الأحلم أوكارها
لكنّ حلماً أنتِ بي ما غدر
أُغم س لك العيني، أفتحهما
لربا بال سب عزّ النظر
يا أنت.. ل نخ سي فما لغدٍ
ف عمرنا لولك عندي أثر
أل ست عنوان؟! بلى إنني
ف ح سنك الداف وليد ال سغر
أهواك.. ل أع سي لأر سي هوى
من يكره الأوطان يلق الكدر
مع سوقتي أر سًا، وأهلًا أنا
متّيم حتى بأق سى الجر
لحُت ف عينيك سمت إبا
لحت ف عينيك سوت سجر
أفديك من حزن إذا ما ارتى
أحميك من غدر إذا ما غدر

ينطلق في غرة ربيع الآخر
فرنسا ضيف شرف مهرجان الجنادرية ٢٥

الجمهورية الفرنسية هي ضيف شرف المهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية) في دورته الخامسة والعشرين، التي تنطلق برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز – حفظه الله - في الأول من شهر ربيع الآخر المقبل.

وتواصل اللجان التنفيذية للمهرجان الذي ينظمه الحرس الوطني سنوياً في الجنادرية أعمالها؛ لإكمال الاستعدادات لانطلاق الأنشطة الثقافية والتراثية والعروض الشعبية، وسباق الهجن الكبير، التي تشهدها قرية الجنادرية الشعبية، إضافة إلى مسابقة القرآن الكريم. وتشكل الرواية أبرز المحاور التي تدور حولها ندوات المهرجان، أما أوبريت هذا العام فقد كتب كلماته الشاعر [illegible]، ولحنه ماجد المهندس، و[illegible]، ويؤديه الفنانون: محمد عبده، وعبدالمجيد عبدالله، وراشد الماجد، وعباس إبراهيم، والطفل خالد ال[illegible].

معرض سلطان الخير.. تاريخ وإنجازات

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز - أمير منطقة الرياض - في مساء 24 من المحرم سنة 1431هـ (10 يناير/ كانون الثاني عام 2010م) معرض الصور الفوتوغرافية عن صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز - ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام - الذي نظمته الهيئة العامة للسياحة والآثار مدة شهر في المتحف الوطني بالرياض؛ وذلك احتفاءً بعودة «سلطان الخير».

المعرض بعنوان «سلطان الخير.. تاريخ وإنجازات».. وقد اشتمل على صور فوتوغرافية نادرة للشقيقين خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وأخاه سمو ولي عهده، إضافة إلى الصور التي تعكس الاحتفالات الشعبية فرحاً بعودة سموه الكريم، مع مجموعة من الصور النادرة لسمو ولي العهد في مراحل حياته المختلفة. الجدير بالذكر أن المعرض ضم مجموعات من الصور الخاصة بسمو الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز، وسمو الأمير بندر بن سلطان بن عبدالعزيز، إلى جانب عرض صور للمصورين المشهورين خالد الخضر، وكمعان الكمعان، وعدد من الجهات، إضافة إلى أفلام وثائقية للقناة الأولى بالتلفاز السعودي وقناة الإخبارية.

السنغال ضيف شرف هذا العام
٦٠٠ دار نشر في معرض الرياض الدولي للكتاب

تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله ورعاه - افتتح معرض الرياض الدولي للكتاب هذا العام يوم 16 ربيع الأول الموافق 2 مارس/آذار عام2010م، واستمر عشرة أيام، وبلغ عدد دور النشر المشاركة أكثر من 600 دار نشر من 27 دولة.

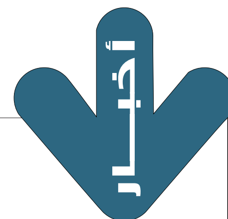
وقال الدكتور عبدالله الجاسر - وكيل وزارة الثقافة والإعلام للشؤون الإعلامية المشرف العام على معرض الرياض الدولي للكتاب هذا العام-: إن وزارة الثقافة والإعلام كونت فريقاً متجانساً من جميع قطاعاتها، وكذلك الشؤون الثقافية الحكومية والأهلية من أجل أن يحقق معرض الرياض الدولي للكتاب رؤية المملكة الثقافية والإعلامية، وأن يكون المعرض جسراً بين الكتاب والقراء، وإن ما هو إلا حدث ثقافي يعكس النماء الثقافي في المملكة العربية السعودية.

وأشار المشرف العام إلى أن البرنامج الثقافي تضمن فعاليات ومناشط متعددة، وقدمت السنغال (ضيف شرف المعرض) مجموعة من الندوات والمحاضرات المعمقة، منها ندوة عن إسهام السنغال في الحضارة العربية والإسلامية، والتنوع الثقافي في السنغال، والفنون الشعبية السنغالية، والأدب العربي السنغالي في السنغال، ومعرض في الجناح الخاص بالسنغال لكتب ومخطوطات مكتوبة باللغة العربية، وصور فوتوغرافية لفلكلور السنغالي، ووثائق ترويجية لنشر السنغالي.

وتضمن البرنامج الثقافي لهذا العام ندوة عن المنتديات الثقافية في المملكة، وإسهاماتها المتميزة في دعم مسيرة التنمية الثقافية السعودية، وندوة الثقافة العلمية ودورها في التنمية الوطنية، وأخرى عن الأطباء الأدباء والأدب في حياتهم، وندوة عن الكتاب السعودي بين المؤلف والناشر والقارئ، وأخرى عن الكتاب المترجم وقضاياه.

كما تضمن البرنامج أمسية عن الحوار الوطني في المملكة العربية السعودية ودوره في تعزيز مفاهيم الوسطية والاعتدال والتسامح، وهو مشروع يرعاه بكل عناية واهتمام خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز -حفظه الله ورعاه- الذي أسس منطلقات لثقافة الحوار في هذه البلاد، مرتكزاً على الوسطية والاعتدال، والتفكير الناقد، واحترام الرأي والرأي الآخر. وأدار مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني هذه الأمسية مع إقامة فرق تدريبية مصغرة تسعى إلى نشر ثقافة الحوار وأهدافه ومنطلقاته وآلياته.

وخصص المعرض أمسية للحوار مع معالي الدكتور عبدالعزيز محيي الدين خوجة - وزير الثقافة والإعلام - والمثقفين والمثقفات في المملكة العربية السعودية، مشيراً إلى أن معالي وزير الثقافة والإعلام كرّم في حفل الافتتاح سبعة رواد المنتديات الثقافية السعودية لدورهم الريادي الثقافي الذي كان له الأثر الكبير في نهوض العمل الثقافي السعودي وتطوره، وتنميته ودعمه ومؤازرته.



معرض «الفيصل شاهد وشهيد» في المنطقة الشرقية

نظمت مؤسسة الملك فيصل الخيرية ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ابتداءً من 7 ربيع الأول سنة 1431هـ. الموافق (21 فبراير/ شباط عام 2010م) معرض «الفيصل.. شاهد وشهيد» في محطته السابعة؛ وذلك بمركز المعارض في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد - أمير المنطقة الشرقية - المعرض وسط حضور كبير يتقدمهم أبناء الملك فيصل وأحفاده وعدد كبير من الأمراء وكبار المسؤولين من رجال الثقافة والإعلام.

ويسلط المعرض الضوء على تاريخ الملك فيصل - رحمه الله - وإسهاماته في المجالات المختلفة، ويشتمل على صور نادرة له في مراحل مختلفة من حياته، إلى جانب مشاهد متحركة ومقاطع فيديو، وبعض مقتنياته الشخصية.

كان المعرض قد بدأ محطته الأولى من الرياض، وكان من فعالياته الثقافية العلمية ندوة عن تاريخ الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - نظمتها دارة الملك عبدالعزيز، ثم انتقل المعرض إلى مدينة أبها في محطته الثانية، ومنها إلى مدينة جدة، ثم المدينة المنورة، ثم بريدة.

رحيل أشهر صحفي في تونس

توفي مؤخراً الصحفي التونسي محمد قلبي الذي يعد أشهر صحفي في تونس بفضل مقالته الساخرة. وقد وافته المنية عن عمر ناهز السبعين عاماً بعد صراع مع مرض السرطان الذي أصاب رئته، ودفن يوم 14 صفر الماضي (3 فبراير/ شباط عام 2010م). وقد عرف قلبي بمواقفه السياسية، وكان الرئيس التونسي الراحل الحبيب بورقيبة قد أودعه في السجن في يناير / كانون الثاني عام 1978م.

د. أحمد زويل:
الفهلوة لا تصنع تقدماً للأمم

وسط حشد جماهيري كبير امتلأ به صالون الأوبرا الثقافي بالقاهرة في 13 فبراير عام 2010م، أعلن العالم المصري الشهير د. أحمد زويل أن ما كان تعليماً متميزاً في الماضي أصبح من الصعب تطبيقه في الحاضر، وعليه فإن تطوير التعليم عملية متواصلة لا تتوقف عند حد.

وأضاف أن تقدم الدول مرهون بما تملك من معارف وعلوم، فقضية التعليم أمر مهم في كل دول العالم، وقال: إنه قرأ في كتاب أمريكي بعنوان: «أمة في خطر» عن التحديات التي تواجه التعليم الأمريكي وكيفية تطويره.. وفي البيت الأبيض تأكد أن من أولويات حكومة الرئيس أوباما «ماذا سيكون التعليم في القرن 21؟».

ووصف د. زويل التعليم بأنه ينقسم إلى معنى أكاديمي للفرد يقصد به اكتساب خبرة لها تأثير فعال في العقل، وهناك معنى شامل للمجتمع كاملاً، ويعني عملية نقل المعرفة والمهارة والقيم من جيل إلى جيل، ولذلك أصبح التعليم من المكونات الأساسية لحقوق الإنسان.

ولخص د. زويل مشكلة التعليم في تدني الإنفاق على التعليم الأساسي، وضعف حركة البحث العلمي، واعتماد المناهج على التلقين، وتدني رواتب العلمي، وضعف الإعلام العلمي.

وأوضح أن العلاج يكون بالقضاء على الأمية عبر مشروع قومي، وإدراك الطلاب أن العلم هو حقائق وليس «فهلوة»، وتطوير تخصصاتهم العلمية، وضرورة إعادة الهيبة للجامعات.

وختم د. زويل حديثه بتأكيد أن الصراع بين الدين والعلم صراع وهمي زائف؛ لأنه بالعلم والإيمان تبنى الحضارة الإنسانية.

مركز للطيب صالح في الخرطوم

أعلنت مملكة البحرين أنها ستنشئ مركزاً ثقافياً باسم الأديب والروائي السوداني العالمي الطيب صالح في العاصمة السودانية الخرطوم. ويضم المركز تراث الطيب صالح وأعماله والأبحاث التي تناولت أعماله الأدبية وسيرته الذاتية، كما أعلنت البحرين عن جائزة تحمل اسم الطيب صالح؛ وذلك ضمن فعاليات الملتقى الذي يحمل اسمه، والذي اختتم في 24 صفر الماضي (9 فبراير/ شباط عام 2010م).

هذا نتاج تجاربي فيما بلوتُ من الحياة
سجّلتهن خواطراً للذكريات وللعظات

نــزار عبيــد مــدني: دبلوماســي مــن طـــيبة

حسين حسن حسين

هيئة التحرير

هــذا نتاج تجــاربي فيما بلوتُ من الحياة

سجّلتهن خــواطـراً لــلـذكـريات ولـلـظات

بهذين البيتين استهلّ الأستاذ عبيد مدني – الدبلوماسي السعودي – كتابه المعنون بـ: (دبلوماسي من طيبة.. محطات في رحلة العمر)، الذي يسرد فيه رحلته في الحياة منذ أن رأت عيناه النور في المدينة المنورة؛ لتبدأ بذلك محطته الأولى التي سمّاها (الجذور)، وتتوالى المحطات التي ترادفت فيها مدن وكلمات لها مدلولاتها، فكانت المحطة الثانية القاهرة (التحوّل)، ثم جدة (التأسيس)، فواشنطن (التأهيل)، لتبرز جدة مرة أخرى بوصفها محطة (الانطلاق)، ثم الرياض (الحصاد). ولم يغفل الكاتب عن أن يزيّن الكتاب بمجموعة من الصور من مختلف هذه المراحل.

تردّد

يمضي الكاتب في المقدمة إلى تردّده في وضع الكتاب بطرحه مجموعة أسئلة على نفسه، وهي: هل تتحقّق حيادية أن يُكتب عنها كتاب؟ ألا يمثل حياة غيري من الناس الذين يمضون في الطريق نفسه، ويسلكون السبيل ذاته، ويتركون لكي يؤمّنوا لأنفسهم حياة شرعية كريمة مستقرة؟. وبعد هذا التردّد لم يجب الكاتب عن أسئلته، بل انتقل إلى تذكير القارئ بأنه لن يجد أسراراً وظيفية مهنية؛ لعدم احتفاظه بالأوراق والوثائق أو المعلومات الخاصة، إلى جانب طبيعة عمله التي لا تمنح حرية كافية لنشر الأسرار. ويعود مرةً أخرى ليوضّح ذلك من واقع هذا الكتاب؛ إذ أراد تركه ذكرى لأبنائه وأحفاده لعلهم يتعلمون من خلال ماضيه عبر السنين العبر والدروس. كما أراد بهذا الكتاب التعبير عن آرائه وأفكاره ووجهات نظره في بعض القضايا والأحداث والأمور.

الجذور



خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز يتفقد مكتبة والده في المدينة المنورة

المؤلف في طفولته

برؤية فلسفية للمؤلف، يقول فيها: إن الإنسان المستقيم المؤمن لا يخاف ولا يحزن؛ لأنه من جهة لا يذنب، ومن جهة أخرى يتبع هدى الله، فيكون من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وتمثّلت السعادة لديه في زوجة وفية مخلصة شاركته في السراء والضراء، وكانت رفيقة درب وشريكة حياة، وإخوة أحباء أعزاء، وقبل ذلك أب حنون عطوف بعد أن فقد والدته وهو في الثالثة من عمره. وهذا الفقدان المبكر للأم جعله يسأل عن شكل حياته ولو كان الله مدّ في عمر أمه.

ويذكر أنه فقد الأب وهو في أخصب مراحل حياته، وكان يعمل في سفارة خادم الحرمين الشريفين في واشنطن. وهو يصف أثر هذه الوفاة في نفسه، وما شعر به من عذاب؛ لوجوده خارج البلد. وقد ربط بين استشهاد الملك فيصل - رحمه الله - ودخول والده المستشفى لإجراء عملية جراحية. ومن ثمّ وفاة والده ينتقل بعد

ذلك إلى مدينة إ ضابنه، وهو في بداية الأربعين من عمره، بعد ... عالج ... دعى إجراء عملية جراحية.

ويعود المؤلف في ... ولده ... أ ...، وهو الدينة النورة، ويبدي اعتزازه بأرضه الهاشمية النبوية، وذكر أن المدينة المنورة أمرها عجيب؛ «فالناس يأتونها من أقطار الدنيا جماعات يتعلمون، وحيارى فيهتدون، وفقراء فيغنون، ولو بقيت في أرضها البارك ... x 3P̈4±$%ɕ` J] • Ð0 H 0 vP¬r• ðð • ... إليها مقيمة، ولو ... إلا موحّد، ولو ل ... عيد».

سمو ولي العهد الأمير سلطان بن عبدالعزيز في مكتبة والده

وسعيدًا خاطبته إدارة البعثات السعودية وأبلغته بوجود منح دراسية من البنك الأهلي لدراسة الشؤون المالية والبنوك في بريطانيا، ومع تحمّسه للفكرة نصحه والده بعدم سحب أوراقه من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وكان محقًا في ذلك؛ فقد فوجئ المؤلف أن اسمه ليس من بين المقبولين في تلك المنح، مع أنه كان الأول في الترتيب.

وبعد ذلك يعيش مع المؤلف المشاعر التي انتابته في اليوم الأول للدراسة، وهي مشاعر متناقضة؛ إذ تمازج الشعور بالرجولة مع الشعور بالوحدة؛ مما جعله يبحث عن صحبة، حتى وجدها في زملائه السعوديين: رضا الري، وعبداللطيف الميمني، وحامد يحيى.

ومن الأساتذة الذين حرص المؤلف على ذكر أسمائهم: الدكتور عبدالمنعم البدراوي، والدكتور طعيمة الجرف في القانون، والدكتور لبيب شقير، والدكتور محمد زكي شافعي، والدكتور سعيد النجار، والدكتور رفعت المحجوب في الاقتصاد، والدكتور بطرس غالي في التنظيم الدولي، والدكتور محمود خيري عيسى في الفكر السياسي، والدكتور فتح الله الخطيب، والدكتور عز الدين فودة في العلاقات الدولية، والدكتور عبدالملك عودة في الدراسات الإفريقية.

وقد أبدى المؤلف إعجابه الشديد بأستاذ جامعي لم يكن ينال التقدير الذي يليق به، وهو الدكتور حامد عبدالله ربيع، وكان يتقن اللغة اللاتينية، وأربع لغات أوروبية، وكان يحمل خمس شهادات دكتوراه، ولم يكن يجد القبول في الجامعات التي درّس فيها، سواء في مصر أم في عدد من الدول العربية، على الرغم من غزارة علمه وتميّزه.

وأكد المؤلف اهتمامه بما درسه من موادّ في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وإن شغله بشكل رئيس في أثناء موقف الإسلام من كل ما يُطرح من قضايا، حتى خرج بنظرية سمّاها دراسة بعنوان: «البعد الدولي في المنظومة الإسلامية: بحث في

الإعلام والعلاقات الدولية»، وجعلها محاضرة قام بإلقائها في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض.

وشرح المؤلف علاقته بزملائه، فقال: إن العلاقة بين الزملاء السعوديين كانت سببًا في عدم تكوين علاقات قوية مع الإخوة المصريين، إلا أن عليّ الدين هلال كان استثناءً؛ لنشاطه الشديد، وقد صار بعد ذلك عميدًا للكلية ووزيرًا للشباب والرياضة. وحار المؤلف في تفسير سبب الجفاء بينهم وبين زملائهم، وأوضح أن العلاقات كانت أقوى مع الزملاء من الأقطار العربية الأخرى.

وبعد هذا الشرح للأجواء العلمية الأكاديمية عرج المؤلف إلى الحديث عن الحياة السياسية في تلك الحقبة؛ إذ كان المدّ الناصري هو السائد، وأوضح دور إذاعة القاهرة وصوت العرب في نشر هذا المدّ، وكيف تعاطف الشارع العربي، كما وقع هو وكثير من زملائه في أسر شخصية عبدالناصر الكاريزماتية، مع أنه كان الأقلّ اندفاعًا؛ لتألّمه من غياب الرؤية الإسلامية في طرح عبدالناصر. وأورد المؤلف أثر انفصام الوحدة المصرية السورية في 28 سبتمبر عام 1961م، واندلاع ثورة اليمن في 28 سبتمبر عام 1962م، في العلاقات السعودية المصرية، وقال: إن هذه الثورة أتاحت لعبدالناصر النفاذ إلى الجزيرة العربية؛ مما مثّل تهديدًا للمملكة العربية السعودية، حتى كان قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في 7 نوفمبر عام 1962م، ونجاح الملك فيصل في قيادة المملكة، وطرح مشاريع التضامن العربي والتضامن الإسلامي توحيدًا للصفّ. وذكر المؤلف أن وضع الطلبة السعوديين لم يتأثر بالأجواء المحمومة في تلك الحقبة.

وأنهى المؤلف هذه المحطة بنيله شهادة البكالوريوس بتقدير جيد في شهر المحرم من سنة 1384هـ/ يونيو عام 1964م، وقد وجّه مجموعة من النصائح إلى صاحبه الذي لم يسمّه، وهو يستعيد بعض الذكريات عندما عاد إلى القاهرة وهو في منصب

الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية؛ ذكي، لماح يعرف ما يريد الشخص أن يقوله قبل أن ينطق به؛ لذا فإن الصراحة معه هي أقصر الطرق إليه

وزاري، وقد ركب سيارة فارهة مرّت أمام عمارته التي كان يقطن من أمامها «الأتوبيس».

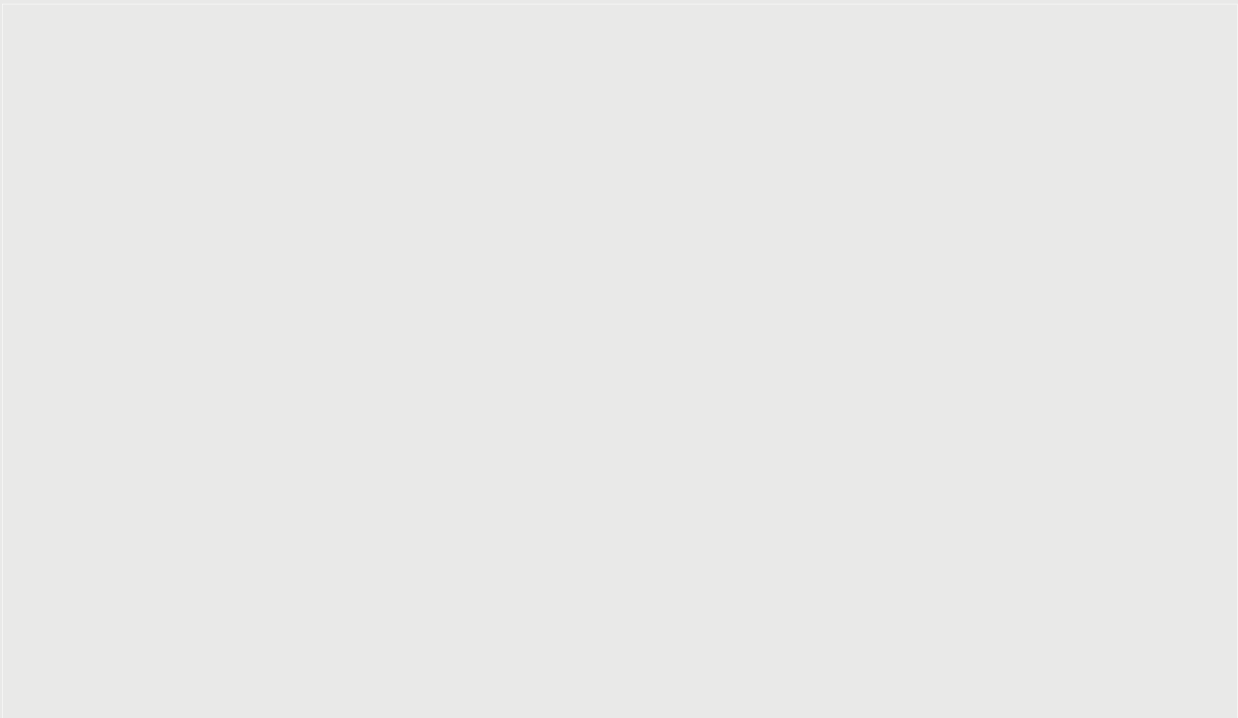
التأسيس

المحطة الثالثة التي يقف عندها المؤلف هي جدة، وقد أطلق عليها «التأسيس»، وهي محطة تمتد من سنة 1385هـ إلى سنة 1388هـ/1965 - 1968م. ويوحي العنوان بأنه سيتحدث عن بداياته في السلك الدبلوماسي. ويحكي المؤلف عن حيرته في تحديد مساره العملي، فكان يريد إكمال الدراسات العليا، وعندما وجد الفرصة ضيّقةً رأى تأجيل هذا الحلم ليكون من خلال التحاقه بالعمل في وزارة الخارجية.

وقد بدأت علاقته بجدة منذ أن جاءها وهو يبحث عن فرصة عمل، فكانت علاقة حبّ من أول نظرة. وبعد ذلك يطرح المؤلف نظرية التوازن من خلال قراري وجهة عمله، واختيار شريكة حياته. وفي هذا الإطار يقسّم شخصية الإنسان إلى: مستترة، ومعلنة؛ فالأولى لا يعلمها غير الإنسان نفسه، بينما الأخرى هي المعروفة للناس. وفي ظنّه أن الإنسان ينبغي أن يتّخذ القرار الذي يرضى عنه، لا الذي يرضي الناس، ويرى أن التوازن بين الشخصيتين مهم، وأن القرار لا بد أن يأتي نابعًا منهما. وهو يذكر أنه كان يلقّب بالسياسي أو الدبلوماسي في وسط أسرته، ويحكي في هذا الإطار احتفال أسرته بقدوم الملك أو وليّ عهده إلى المدينة، وقد أدار في إحدى زيارات الملك سعود - عندما كان وليًا للعهد - للمدينة حوارًا مع ابن عمه إياد مدني (وزير الإعلام السابق)، فكان يصف نفسه بأنه سياسي الغد، بينما كان يأخذ إياد صفة (جندي الغد). وتكرّر الأمر نفسه بعد أن اعتلى الملك سعود العرش، وقد انضم إليهما هذه المرة ابن عمه أيمن مدني.

وكانت المصادفة التي وجدها عند التقدّم إلى وظائف في وزارة الخارجية مع زميليه رضا السري وعبداللطيف الميمني أنه لا توجد وظائف شاغرة، وأن عليهم الانتظار شهورًا. وقد كوّنوا مع زميل لهم كان يدرس الحقوق، هو عمر كردي، شلة باسم «المعذبون في الأرض». وبعد طول انتظار التحق الثلاثة بوظائف في وزارة الخارجية بعد اجتياز امتحان تحريري ومقابلة شخصية.

ويحكي المؤلف بعد حصوله على العمل رحلة البحث عن عروس،



مع سمو الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية على متن طائرة لحضور أحد الاجتماعات



مع الشيخ جميل الحجيلان ووزير خارجية اليمن

وكيف كان للمترجم دور في هذا الخيار، فكان أن قام العلاقة الممتدة نحو خمس وأربعين سنة لحظة طباعة الكتاب على الحب، وكانت هانئة كما أفصح المؤلف بكلمات رقيقة، وختمه بقوله: «إني لا أملك في هذا المقام من تقدير شيء لشريكة العمر، ورفيقة الدرب، في مقابل ذلك سوى أن أهدي لها هذه «المدونة» أو الحكاية البليغة التي تروي قصة زوجية دام زواجهما ستين عاماً». ثم يبدأ بسرد قصة زوجة طلبت من زوجها عدم فتح صندوق، وبعد سنوات طال أخفقت الزوجة على الزوج، وطلبت منه فتح الصندوق، فوجد فيه دميتين ومبلغ 100 ألف جنيه، وقد أنقذته زوجته من الحيرة، وقالت له: إنها كانت قد قرّرت أن تصنع دمية كلما غضبت من زوجها، فقال الزوج: معنى ذلك أنني أغضبتك مرتين. ثم سألها عن سرّ المبلغ، فقالت: هذا هو المبلغ الذي جمعته من بيع الدمى التي صنعت عددها من كثرة الحنق.

وعاد المؤلف ليحكي صدمته بالعمل في قسم القائمة السوداء في وزارة الخارجية، ثم انضمامه من البدء من أول السلم الوظيفي، والتعرّف إلى صغار الوظفي قبل كبارهم، وهو ما ساعده فيما بعد على المساواة بين الوظفي، ويبدي إعجابه بالصفي محمد الصبيلي الذي زاره هو وزملاؤه في القسم، ولم يرد أن يعطيهم ظهره وهو خارج من الغرفة، وكانت هذه الخصيصة مدخلاً للحديث عن الأخلاق وأهميتها. وينفى أن يكون مفهوم الدبلوماسية هو المكر والخديعة واللجوء إلى الوسائل غير الأخلاقية لتحقيق الهدف المنشود، وقال: إن وسائل النضال جعلت الثقة شرطاً ضرورياً لقيام الصلات الطيبة.

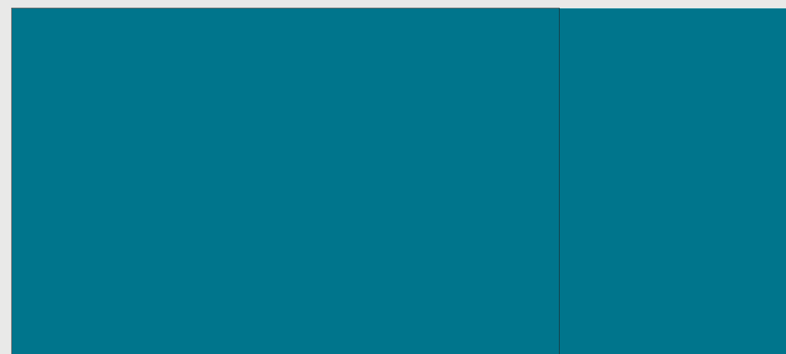
وتحدث المؤلف بعد ذلك عن انتقاله الوظيفي والعاطفي

الذي لم يعكّره غير نكسة يونيو عام 1967م، التي كانت نتيجة طبيعية لمقدمات سبقتها، وقال: إن مؤتمر الخرطوم الذي أقيم في المدة من 29 أغسطس إلى 2 سبتمبر عام 1967م أكد صحة الموقف السعودي، وحسن تقدير قيادة المملكة. وأكدت قمة الخرطوم قدرة دول المواجهة على الصمود، وتسوية المشكلة بين اليمن ومصر، وأعطت للمملكة دور الشريك في القرار السياسي العربي.

وتنتهي مرحلة التأسيس التي كان مسرحها جدة بنقل المؤلف للعمل في السفارة السعودية بالعاصمة الأمريكية واشنطن.

التأهيل

أطلق المؤلف على مدة عمله في واشنطن مرحلة (التأهيل)،



مع الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون

وهي تمتد من سنة 1388هـ/ 1968م إلى 1398هـ/ 1978م؛ أي: عشر سنوات كاملة؛ فهو يؤكد أنه مع قرار النقل انتابه شعور غريب امتزج فيه الخوف والرهبة بالشوق والتطلّع.

وقد غادر جدة وحيداً بعد أن ترك زوجته وهي حامل، ومكث بعد أيام من وصوله في شقة صغيرة لا يبعد كثيراً عن مبنى السفارة؛ لتبدأ مرحلة الشعور بالغربة، وازداد هذا الشعور بعد الأحداث التي تلت اغتيال الزعيم الأمريكي الأسود مارتن لوثر كينج. وفي خضم هذه الأحداث كان مولد ابنته هنى، وكان ذلك دافعاً له ليحدّد منزل

الأمريكي يؤمن بالأشياء قبل الأفكار؛ فهو يؤمن بالأشياء التي تتحقق مادياً، لا بالتمرينات العقلية، كما أنه يطغى عليه الشعور الحاد بالحرية

الأسرة، ويتمكن من متطلبات الحياة في أمريكا، وأهمها السيارة التي يراها مرتكزاً لثقافة الحياة في أمريكا.

وقال المؤلف: إن حياته في أمريكا تمثّلت في ثلاثة اهتمامات، هي: الجانب المهني والوظيفي، والجانب الدراسي الأكاديمي، والجانب الأسري. وتحدث بعد ذلك عن أهمية العمل في مدينة مثل واشنطن، إذ فيها فرص استكمال الدراسات العليا، وفيها أكثر من 150 بعثة دبلوماسية. ويسرد المؤلف علاقته بزملائه، بدءاً من السفير إبراهيم السويل الذي نعته بصفات جميلة، وأوضح أن مهمته في السنوات الثلاث الأولى هيّأت له الانصراف إلى الجانب الأكاديمي، وقد اطّلع خلالها على طبيعة التركيبة السياسية الأمريكية.

أما المرحلة الممتدة من عام 1971م إلى عام 1975م، فقد شهدت مولد ابنه عبدالله، وانتقاله إلى إدارة البرقيات، وهي مهمة ليست سهلة في ذلك الوقت. كما شهدت المرحلة حرب أكتوبر (تشرين) التي كان لها تأثيرها الكبير في العلاقات العربية الأمريكية. وقد وضعت أزمة الطاقة المملكة في بؤرة الأحداث. وتحدّث المؤلف في هذا الإطار عن تأثير البترول في الحضارة الحديثة، التي وصفها بالهشة؛ لاعتمادها على مصدر للطاقة ناضب.

ويلقي المؤلف الضوء على المدة التي سبقت الحرب، وأدت فيها المملكة دوراً كبيراً بتحذيرها أمريكا من الانحياز إلى إسرائيل، وزيارة وزير البترول والثروة المعدنية الأسبق أحمد زكي يماني الولايات المتحدة الأمريكية، ومقابلته وزير الخارجية الأمريكي آنذاك وليام روجرز.

أما القسم الثالث من تجربة المؤلف في أمريكا فيمتدّ من عام 1975م إلى عام 1978م؛ ففي عام 1975م استشهد الملك فيصل، رحمه الله، وكان والده قد أجرى عملية جراحية في تلك الحقبة في واشنطن. وشهدت هذه الحقبة كذلك تعيين سفير جديد في واشنطن، هو الشيخ علي عبدالله علي رضا، وتعيين الأمير سعود

الفيصل وزيراً للخارجية. وقد اعتمد عليه الفيصل في العديد من بعثاته، واستطاع أن يشارك في ترتيب زيارة ناجحة للأمير سعود الفيصل.

أخذ المؤلف قرار العودة بعد أن بدأ ابناه عبدالله وعيسى يكبران، فخشي عليهما من تأثيرات المجتمع الأمريكي. وقد تمّت الموافقة على نقله إلى الديوان العام.

وبعد الحديث عن الجانب الوظيفي، أبدى المؤلف اهتمامه بالجانب الأكاديمي، فاستطاع الحصول على الماجستير في عام 1971م من الجامعة الأمريكية، التي سجّل فيها للدكتوراه بعد تردّد. وأبدى دهشته من أن الأمريكيين كانوا يرون السياسة الدولية علماً مستقلاً، بينما كان أساتذته في المرحلة الجامعية يرونها جزءاً من علم السياسة. ثم يسرد اكتشافه سيطرة الدراسة السلوكية على العلاقات الدولية، وتعمّق المؤلف في تناول الشخصية القومية، ومعايير تحديد معالمها، التي كانت سبباً في اختيار رسالته المعنونة بـ: (المحتوى الإسلامي للسياسة الخارجية السعودية: دعوة الملك فيصل للتضامن الإسلامي 1965- 1975م)، وقد حصل بها على الدكتوراه في عام 1978م.

ويحلّل المؤلف ما يسمّيه (الظاهرة الأمريكية)، ويقدمها تقويماً، فكان أول انطباعاته أن أمريكا بلد يدعو إلى الانبهار؛ فهي قد جمعت في داخلها أكبر كمية من «أفضل الشيء وأسوئه»؛ فهي أقوى بلد العالم وأغناها وأحدثها، وكلّ شيء فيها أضخم وأعمق وأعظم مما لدى أي بلد آخر. وكان مما لفت انتباهه الرخاء العريض، والثراء الفاحش، والتقدم المادي الهائل. ثم ذكر أن هناك لا شك أسباباً أدت إلى ذلك؛ فهي قارة شديدة التنوع، هائلة المساحة، مختلفة المناخ، وشعبها يجمع من مهاجرين من مختلف أنحاء العالم.

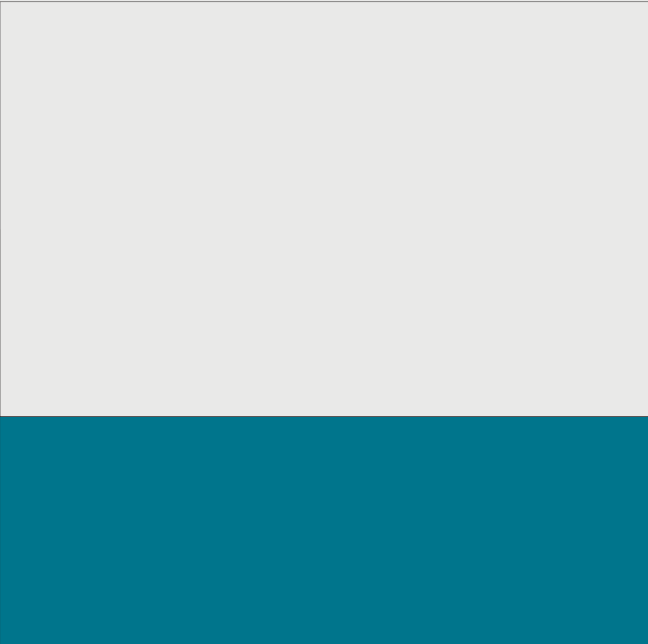
وقد تولّدت النزعة الفردية في داخل الإنسان الأمريكي، وهو يعتقد جازماً أن نظام الحكم في بلاده هو أفضل نظام عرفته البشرية، والأمريكي يؤمن بالأشياء قبل الأفكار؛ فهو يؤمن بالأشياء التي تحقق مادياً، لا بالنظريات العقلية، كما أنه يطغى عليه الشعور المادي بالحرية. ولفت انتباه المؤلف كذلك التطبيق الأمريكي لمفهوم الوحدة الوطنية؛ فقد منحت أمريكا مواطنيها جميعهم دوافع مقبولة، ومسبّبات مقنعة، تدفعهم إلى الذوبان في الهيكل السياسي والقانوني والاجتماعي الذي تتبنّاه الدولة. وأوضح أنه عاش سبع سنوات في حالة الاستقطاب النفسي والتناقض الفكري بين الانبهار بالتقدم العلمي المذهل والاستمتاع بوسائل الرفاهية ورغد العيش من جانب، والأجواء والظواهر والمُثُل التي تتناقض مع قيمه ومبادئه وأخلاقياته. وقد كان الابتعاد عن الإيمان وظاهرة العنف من أكثر أسباب شعوره بحالة الاستقطاب النفسي، إلى جانب بعض المظاهر الاجتماعية والشخصية لمفهوم الحرية؛ مثل: حركة الهيبيز، والمثلية، وانتشار الإباحية.

ويطرح المؤلف أسئلة: هل صحيح أن التجربة الأمريكية قد أمدّت المواطن الأمريكي بالوسائل، وحجبت عنه الغايات، ووفّرت له الرفاهية، وحرمته الطمأنينة الروحية، وأعطته العلم، وحرمته الإيمان؟. لم يجد المؤلف إجابات عن أسئلته، فوجد نفسه يهبط في مطار جدة عائداً إلى أرض الوطن مرةً أخرى.

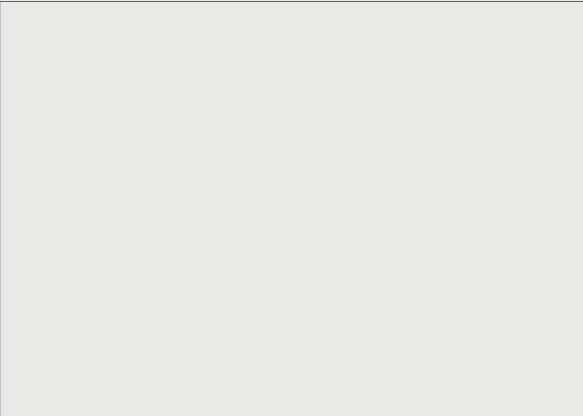
الانطلاق

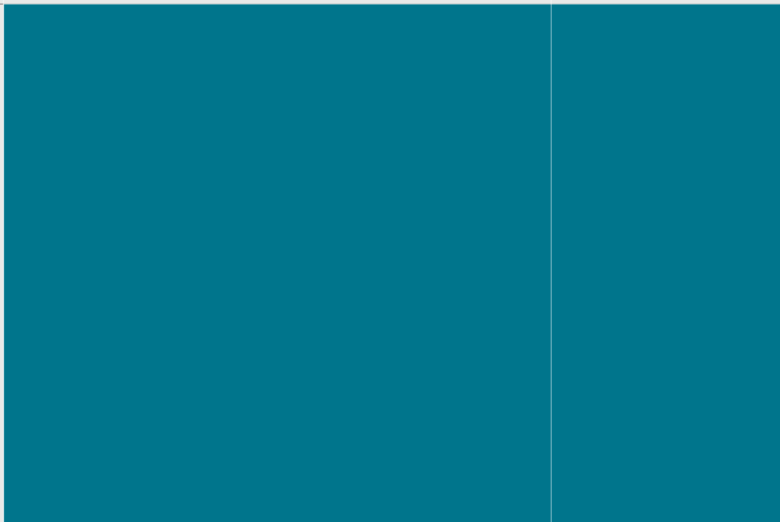
هذه المرحلة تغطّي المدة من 1398هـ/ 1978م إلى 1404هـ/ 1984م، ومسرحها مدينة جدة التي وجد أنها قد تغيّرت، بل طال التغيير البلاد بأسره، وأثّر في أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية.

مع الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير الكويت عندما كان وزيراً للخارجية



في مناسبة عقد القران ومع والده والشيخ علوي المالكي





المؤلف في شبابه

فارق كبير حقاً بين جدة التي عاد إليها المؤلف في عام 1965م بعد الحصول على الشهادة الجامعية من جامعة القاهرة، وتلك التي رآها عندما عاد إليها من الولايات المتحدة الأمريكية عام 1979م.

عاد المؤلف هذه المرة - كما يقول - أكثر ثقةً بالنفس، واعتماداً على الدراسة بعد الحصول على الشهادات العليا، كما أنه ظلّ يرفع شعار «لا اقتباس، ولا إقراض»، بخيلاً على فنه، كريماً على أهل بيته والكتاب. وهو يوضح هنا أن مصطلح الطفرة لم يعرف حقيقته إلا عندما عاد إلى الوطن؛ إذ لمس أثرها في العلاقات الاجتماعية، وفي أنماط الاستهلاك، والبنى التحتية. وقد عرّج المؤلف على معاناة الغربيين في تعاملهم مع الواقع السعودي حيث افتقاد دقة المواعيد، كما أشار إلى مشكلة رفض العمل المهني والحرف، وهي أحد مقومات برامج التنمية، وعدم سرعة اتخاذ القرارات في المؤسسات والشركات. ويعقد المؤلف مقارنةً بين حياة البساطة والطمأنينة والميل إلى الضمان الأسري والقبلي من جانب، وسرعة إيقاع الحياة بعد تدفّق البترول، والانفتاح على العالم الخارجي، وإحداث نقلة تنموية هائلة. ثم يذكر بعد ذلك بعضاً من الحنين إلى حياة الماضي، وينتقد الأوضاع بعد انقلاب المفاهيم، واختلاط الأوراق، وتداخل الأولويات، واضطراب المعايير، وزعزعة بعض القيم التقليدية الأسرية، وتغيّر بعضها.

وهو في بداية عودته إلى جدة كان يرتاد المنتديات، ويحضر المحاضرات والدوريات، ويستمع إلى الأحاديث من دون أن يعلّق، وكان ثم يصوّر تساؤله الداخلي عن وضعه في هذه المعمعة، وينتهي إلى عدم ميله إلى خوض غمار ما يميل إليه؛ مثل التجارة طلباً للمال.

وفي إطار الحديث عن الحال يتضح موقف المؤلف ممن حوله. أما وضعه في وزارة الخارجية، فقد شهد طفرةً كالطفرة التي كانت تعيشها المملكة؛ فهو انتقل من الأرشيف - قبل سفره إلى أمريكا - إلى مكتب الوزير، وكانت الوزارة بصدد الانتقال إلى مبناها الجديد في الرياض. ثم يذكر شيئاً من التفاصيل للقائه الأول بسموه الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية، والمهام التي طلبها منه، وأهمها الاهتمام بالجانب الإعلامي. وكان هذا اللقاء بداية علاقة عمل مع سموه امتدت إلى ما يربو على الثلاثين عاماً، وهو خلال هذه المدة الطويلة لم يَر منه أيّ تصرّف يعبّر عن السخط، أو ينمّ على عدم الرضا.

وتركز عمل المؤلف في الإعلام الذي يرى علاقته بالخارجية علاقة تكاملية، وهما يرتبطان بعلاقة نسب وقرابة، وهو يرى أن السياسة الخارجية الناجحة تستند إلى دبلوماسية نشطة وفعّالة، وإعلام ذكي ونافذ، وقوة اقتصادية مؤثرة، وقوة عسكرية ضاربة.

ويوجد ثلاث قواعد تحكم هذه المحاور، أولها: ضرورة وجود علاقة ترابط بين هذه الأدوات، واللجوء إلى أقلّ تلك الأدوات تكلفةً، واعتماد مبدأ التفاوض في جوهر العمل الخارجي الذي يُفترض فيه الحذر، والكياسة، وعدم المبالغة، وبُعد النظر، والقدرة على التنبؤ، وهو يمثّل خط الهجوم الأول، وخط الدفاع الأخير في تنفيذ السياسة الخارجية.

وكانت العقبة عدم وجود إدارة مستقلة، تتمتّع بتحرير العاملين في إدارة الصحافة، والاستعانة بفريق جديد من الكفاءات الشابة، مع وضع تصوّر تام للإعلام الخارجي الذي يتبنّاه سموه الأمير سعود الفيصل، حتى صدر قرار إنشاء الهيئة العليا للإعلام الخارجي، ولكن تعيين وزير جديد للإعلام أدى إلى تجميد المشروع برمّته. وقد عمل سكرتيراً للجنة التنفيذية، التي كان يحيل إليها وزير الخارجية القضايا والأمور المتعلقة بأعمال الوزارة وشؤونها، وظلّ يحضر اجتماعاتها حتى بعد أن ترك منصب السكرتير إلى أن تم تعيينه عضواً في مجلس الشورى في سنة 1414هـ.. كما تولّى المؤلف كتابة الخطابات التي يلقيها الوزير في المحافل الدولية.

وتحدث المؤلف عما عرفه عن شخصية الأمير سعود الفيصل

وزير الخارجية؛ فهو يراه ذكياً، لماحاً، يعرف ما يريد الشخص أن يقوله قبل أن ينطق به؛ لذا فإن الصراحة معه هي أقصر الطرق إليه. كما أن من صفاته القدرة الفائقة على ضبط النفس، والسيطرة على أعصابه في أحلك الظروف، كما أن له قدرةً على امتصاص مشاعر الموظف مهما بلغ توتره وإحباطه وقلقه. أما الصفتان اللتان ركز فيهما المؤلف، فهما العقلية الاستراتيجية والفكر التكتيكي اللذان يتمتّع بهما سموه، والثقافة الموضوعية الراقية، إلى جانب ما يتميّز به من روح الدعابة، وسرعة البديهة، والتعليقات الساخرة أو اللاذعة.

وبعد الحديث عن الأمير سعود الفيصل، يسرد المؤلف قصة إنشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية في 25 مايو عام 1981م. وكان هدفه المحافظة على استقرار دول المجلس، ومواجهة المستجدات الأمنية. وبعد هذه القصة يعرّج المؤلف على حياته الخاصة، ومن ذلك انتقاله للسكن في الدور العلوي من منزله بعد إتمام تجهيزه، ثم سرقة مجوهرات زوجته من الفيلا الجديدة التي انتقل إليها، ثم حدوث اقتحام للفيلا من لص لاذ بالفرار، وأعقبه محاولتان، وتبيّن أن هذه الحوادث تكررت للمؤلف وأسرته، خصوصاً أنها كانت في المدة التي كان يرافق فيها سموّ وزير الخارجية في رحلاته الخارجية.

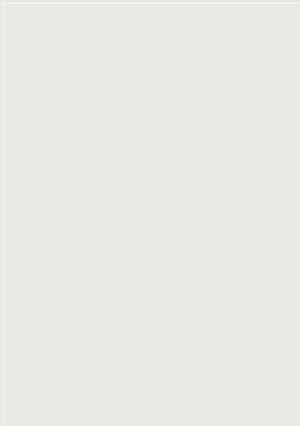
وكان من منغّصات هذه الرحلة مرض المؤلف، واضطراره إلى إجراء عملية جراحية في هيوستن بولاية تكساس الأمريكية. وفصّل المؤلف تجربة المرض، وذكر الدروس التي استفادها، ومنها أن المال والجاه لا يساويان شيئاً إذا هدّم المرض أيّ إنسان، كما أن القرب من الله من أول أسباب التخفيف، ومدّ القوة لتجاوز محنة المرض.

وينتقل المؤلف من الخاص إلى العام، فيورد حادثة اقتحام جهيمان العتيبي المسجد الحرام في صباح الثلاثاء غرة المحرم سنة 1400هـ. وهو يرى أن هذا الحادث كان ينبغي أن يفتح أعيننا على أنه لا بد أن ننفض غبار النطلق والتحجّر وعقلية الحصار. وعلى الرغم من منغّصات تلك الحقبة كانت إطلالة (دانية) على الأسرة، ثم قرب انتقال الوزارة إلى الرياض من دواعي السرور.

الحصاد

هذه الرحلة تمتدّ من سنة 1404هـ/ 1984م، ولا يزال المؤلف يعيش كلّ تقلباتها، وكانت البداية انتقال وزارة الخارجية إلى الرياض، وهو يرى أن هذه الرحلة هي التي جنى فيها كل ما بذره في المراحل والمحطات السابقة.

كان وصول المؤلف إلى الرياض في شهر ذي الحجة سنة 1404هـ/ سبتمبر عام 1984م، ويذكر أن أول زياراته إلى الرياض س



مقتطفات من المقدمة والخاتمة

- هاؤم اقرؤوا كتابيه.. كتبته لكم بكل أمانة وصدق وتجرّد.
- كنت أظن حين اعتمدت في هذا الكتاب ذكريات ما كان من أمري في هذه الدنيا أنني سوف أكون ممن عاش عمره مرتين، ولكنني اكتشفت أن ذلك للأسف الشديد لم يحدث.
- لم أكتب فيما سطرته على الصفحات السابقة كل شيء، سواء عن شخصي، أو عن أهلي وأسرتي، أو عن مجتمعي وقومي، أو حتى عن آرائي وأفكاري وإن ما عزفت عن كتابته ربما كان أكثر مما كتبته وسجلته.
- أعترف للقارئ الكريم أنني قد لا أكون قد ذكرت في هذا الكتاب كل الحقائق، ولكنني أؤكد له أنني أيضاً لم أذكر فيه إلا الحق.

التاريخ 3/ 6/ 1430هـ.

كانت في سنة 1384هـ/ 1965م بعد تخرّجه في الجامعة. وهنا يذكر المؤلف الخلل في الرياض سببي التاريخي، فكانت المدينة في هذه المرحلة ورشة عمل أو خلية نحل لا تهدأ، وهو يرى أن الرياض تتميز من المدن التي تنفرد بذلك في المزج بين هويتها وتاريخها وثقافتها العربية والإسلامية من جهة، وانفتاحها على ثقافة المدن الأعرق أو الأكثر تحضّرًا، وهذا المزج يقف خلفه فكر متميز وأمير منطقة الرياض الأمير سلمان بن عبدالعزيز، الذي لم تبدأ علاقته معه إلا بعد تعيينه عضوًا في مجلس الشورى.

ومن التميزات الأولى في الرياض قدوم آخر العنقود عبدالعزيز، وهنا يورد المؤلف علاقته بأميره، وحنوّه على أفرادها. وتتحدد المرحلة الأولى لحقبة الرياض من سنة 1404هـ/ 1984م حتى تعيينه عضوًا في مجلس الشورى في سنة 1414هـ/ 1993م، والمرحلة الثانية هي سنواته في مجلس الشورى، والمرحلة الثالثة تبدأ منذ تعيينه مساعدًا لوزير الخارجية برتبة وزير في سنة 1418هـ/ 1997م. وقد عُيّن عند انتقاله إلى الرياض مديرًا عامًا لمكتب الوزير، مع بقاء المهامّ التي كان يقوم بها. وفي سنة 1407هـ/ 1987م تحوّل من نائب رئيس الإدارة الغربية، الذي تحوّل دبلوماسيون أفذاذ، وقد رُقّي المؤلف إلى مرتبة سفير في تلك السنة.

ويذكر المؤلف بشيء من التفصيل مهامه في اللجنة الثلاثية العربية الخاصة بلبنان التي ضمّت المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية والجزائر، وقد استدعي من الرياض للمشاركة فيها، وقد تكلّلت أعمال اللجنة بالنجاح بانعقاد مؤتمر الطائف. ويشير المؤلف باعتزاز إلى دور المملكة، ودور الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية، ودور رفيق الحريري رئيس وزراء لبنان الراحل، إلى جانب الأخضر الإبراهيمي ممثل الجامعة العربية.

ويحلّل المؤلف الحرب العراقية الإيرانية، التي يرى أن خوف الرئيس صدام حسين من نشر الثورة الإيرانية إلى العراق من أسبابها، وأن الخوف من سيطرة إيرانية على الخليج في حالة انتصارها من أسباب دعم دول الخليج الرئيس صدام حسين. وفي تحليله لغزو صدام حسين الكويت يقول: إنه اتخذ القرار الخطأ في اللحظة الخطأ وفي الظروف الخطأ عندما غزا الكويت، وهو ما سيسجله التاريخ له ويسانده وأمثاله إلى حين أن يعرفه العرب منذ عهد الانحطاط الأول. وهو يصف هذا الحدث بأنه الأضخم والأخطر في تاريخ الأمة العربية المعاصر. وكان المؤلف عند الغزو في أمريكا، فعاد مسرعًا إلى المملكة، ووجد أن وسائل الإعلام تعاملت مع الحدث بالتسمية الصاعقة: احتلال القوات العراقية دولة الكويت.

ويحكي بعد ذلك أجواء العمل في الوزارة؛ إذ أصبح الوقت الذي يقضيه العاملون في المكتب أكثر من ذلك الذي يقضونه في منازلهم، كما أنه سافر إلى القاهرة مرافقًا سمو وزير الخارجية في إطار مساعي احتواء الأزمة، التي تناول بعض تفاصيلها.

وعقب هذا الحديث المسهب عن أجواء أزمة غزو العراق الكويت ينتقل المؤلف إلى الناس، فيذكر بسعادة زواج ابنتيه سهى، وابنه عبدالإله؛ ليجد الفرصة للحديث عن معايير الموافقة على عريس أو اختيار العروس.

بعد هذا الحديث الأسري يأخذنا المؤلف إلى مرحلته الثانية في الرياض، وهي عضويته في مجلس الشورى، وفيها يتحدث عن رحلة بحرية قام بها، تلقّى خلالها خبر تعيينه، وبحث الديوان الملكي عنه وعن مكان وجوده. وبعد العودة إلى الرياض يشير كيف كانت مغادرته الوزارة، وحديث الأمير سعود الفيصل عنه أمام زملائه في اللجنة التنفيذية.

وبدأت علاقته بمجلس الشورى بزيارة إلى الشيخ الجليل محمد بن إبراهيم بن جبير، ثم يذكر انطباعاته عنه. كما زار الدكتور عبدالله عمر نصيف نائب رئيس مجلس الشورى، والدكتور محمود البدر الأمين العام. وقدّم المؤلف تصورًا للجان المختصة في المجلس تمّت الموافقة عليه، وكان عددها ثماني لجان، وقد رأس لجنة الشؤون الخارجية بعد عملية انتخاب ديمقراطي. وقد شاع عنه مقولة كان يقول: أولها مناقشة اللجنة الموضوعات الحالة إليها من رئيس المجلس فقط، وحاول المؤلف أن يوجد علاقة ترابط بين اللجنة ووزارة الخارجية.

ويشير المؤلف إلى دور المجلس في تعزيز العلاقات الخارجية

عقد المؤلف مقارنةً بين حياة البساطة والطمأنينة من جانب، وسرعة إيقاع الحياة بعد تدفّق البترول، والانفتاح على العالم الخارجي، وإحداث نقلة تنموية هائلة.

من خلل الزيارات المتبادلة، وحر ه على عدم مناق ة مو وعات ل تدخل ف نطاق اخت ا ه ومعارفه. ويقدم المؤلف هادته عن الجل س ودوره، م يداً بهذا الدور وإمكانياته أن يفعّل هذا الدور إذا ا تطاع مواجهة بع س التحديات التي فر ت فن ها عليه، وهو يرى أهمية عر س)الميزانية(العامة للدولة على الجل س، و رورة منح المرأة دوراً طبيعياً ف الجل س يتنا ب مع موقعها ف الجتمع، إل جانب إعادة النظر ف آلية اختيار أع اء م ل س ال ورى.

ويرى المؤلف كذلك أن ارتباط أع اء الجل س العيني بمهمات وأعمال خارج إطار عمل الجل س يعدّ من العوقات، إل جانب أن م ي القرارات والتو يات التي ي درها الجل س م بط؛ لعدم أخذ الهات الحكومية بكثير منها.

وي ي المؤلف إل اهتمامه القدي بفهوم ال خ ية القومية، وتطور النظرية الإ لمية للعلقات الدولية، ثم ولوج ميدان الكتابة ال حفية من خلل حيفة)عكاظ(بإلحاح من رئي س تحريرها ال ابق وع و الجل س د. ها م عبده ها م، وهو يحكي هنا جانباً من معاناته ف م ار ة الكتابة.

أما الرحلة الثالثة ف الريا س، فكانت ف فتة ما بعد م ل س ال ورى؛ إذ ان رف تفكيه بعد اختياره دورةً ثانيةً إل تقدي ا تقالته من وزارة الارجية، إل أن مو الأمي عود الفي ل فاجأه باختياره م اعداً لوزير الارجية برتبة وزير، وترك له الفر ة للتفكي، وقد در قرار التعيي بعد أربعة أ ابيع؛ م ا اقت ى انقطاع علقته بمجل س ال ورى.

واقت ت الوظيفة الديدة تعامله مع أعمال الوزارة ب كل أكث مولً عن ال ابق، وتّ التمديد له ف هذه الوظيفة بعد انق اء أربع نوات، وتحديداً ف 25 رجب نة 1426هـ.. ويذكر المؤلف بكثي من الفخر ما حققه ف عمله من نجاح، خ و اً مزامنته عدداً من خية العاملي ف الوزارة، ذكر منهم ال يخ مأمون قبان، والأمي عبدالعزيز الثنيان، والأ تاذ م مد مأمون كردي.

بعد هذا الديث العاطفي عن زملئه، يعود المؤلف إل العا فة التي هزّت العال، وهي أحداث 11 بتمب عام 2001م، التي تغيّر منها العال أجمع، خ و اً العال الإ لمي، والملكة العربية ال عودية خا ة. وقد نتت العا فة مرحلة بالغة ال قة وال عوبة، وكان على الملكة أن تتحرك ب رعة؛ حفاظاً على م ال ها، و لمة مواطنيها، وحماية أ قائها ال لمي والعرب ومن ا رهم.

ونخفيفاً على القارئ ي رد المؤلف موقفي؛ أولهما: التقاؤه بمثّل دولة إفريقية ف مؤتر قمة ال عام والتعيي، وكلّ منهما يثّل الآخر يثّل دولةً غي دولته، وقد قدّم إليه ممثّل إحدى الدول الإ لمية)تي س(هدية تقديراً لدور الملكة ف م اعدة بلده، ثم يذكر كيف امت ّس غ ب وزير خارجية بح ي الت رف، حت ا تحقّ كر الوزير وهو يغادر الملكة.

وأنهى المؤلف كتابه بطرح أفكاره حول مفهوم ال خ ية القومية، وتطبيقه على ال خ ية ال عودية، وحول النظرية الإ لمية الدولية، وتوقّيته الو ع الراهن للعلقات الدولية.

ويرى المؤلف أن النظام العالي الديد يوف ي وده مبدأ) يادة الأمن الدول(، بدلً من مبدأ) يادة الدول(، وأن مرجعية المنظومة الأمنية هي العاهدات ال ارية، وأداتها اللف الأطل ي)الناتو(، وحلقة الو ل هي م ل س الأمن. ويطم س النظام الديد هذا البدأ؛ ليبز مبدأ)الديقراطية وحقوق الإن ان(، ومبدأ) م اربة الإرهاب(، وهما غطاءن مو وعيان لتدخّل الدول الكبى ف ؤون الدول ال غرى.

أعلى: من زيارة وفد م ل س ال ورى إل باك تان
أ فل: من اجتماعات الوفد الوزاري العربي اللبنان

قصيدة

من تحوّلات حواء

الموت العذب

محسن يوسف

اللاذقية - سورية

يا معبودة دجلة والفرات وبيبوس، أيتها الأنثى التي عُبدت منذ أكثر من أربعين قرناً، أيتها المنتشرة عطراً وجمالاً وبهاءً في الساحات الرحبة، والمعابد، وأعالي الذرا السامقة.

(arihsa) عشيرة، يا ابنة آرام العربية الأصل والجذور، يا شاعرة الحب، وقيثارة الغناء، وراقصة الشرق المقدسة، هاأنذا أسمع صوتك، وأرتّل معك صلاتك للمحبوب:

«عندما أكون بين ذراعيك
أتمنى على الخالق أن أموت
إذ أين أجد ميتة
أعذب من هذه الميتة؟.
ففي قبلة حرّى من شفتيك
أصعّد أنفاسي الأخيرة

ثم أتلاشى
فأكون قد حملت إلى القبر
لذة يفنى جسدي وتبقى هي على فمي
وليكن قبري في ذلك الحقل
ذي السنابل العالية
حيث تأتي العصافير فتنقر
السنابل
ثم تزقزق وتسكر
من الأريج الذي يعبق
من عطر قبلتك
على فمي المشتعل»

***

«أيها السيد
فتّشت عنك منذ الصباح
ولم أجدك!
ها إن الغسق داجٍ
والليل حالك
وفي فمك الشهد والعسل
وبين يديك السعادة والفردوس

الفاقة

ميخائيل زوشينكو

ترجمة : هاشم حمادي

قصة

ما الكلمة الدارجة الآن أيها الرفاق؟

لا شك أن الكلمة التي تدور على كل شفة ولسان الآن هي الكهرباء. ولا يختلف اثنان على أن كهربة البلد أمر في منتهى الأهمية، لكن ما زال لهذا الأمر جوانبه غير الجيدة. لست أقصد - يا رفاق - أن الثمن مرتفع، كلا فهو ليس بأغلى من النقود، لكن ما أقصده شيء آخر. وإليكم بيت القصيد:

حتى الأمس القريب كنت أعيش - أيها الرفاق - في بناء ضخم، لم يُضأ إلا بالكيروسين. بعض الناس يستخدم القنديل القديم، وبعضهم الآخر اقتنى القنديل الحديث، بينما لا يزال آخرون يستخدمون الشموع. يا له من بؤس.

وفجأة بدأ تمديد الكهرباء إلى البيوت.

كان القوّاس أول من مدّد الكهرباء إلى شقته، لكنه لم يكد ينير بيته بالكهرباء حتى طرأ تغيّر كبير على سلوكه. فلم يبدُ ما إن أصبح مهموماً، ولم يبدُ ما إن أصبح كثير التأمل والشرود، لكنه لم ينبس ببنت شفة، ولم يشكُ أو يتذمّر.

لم تلبث عدوى الكهرباء أن أصابت يليزافيتا إيفانوفنا صاحبة الشقة التي أقطنها. ففي ذات مرة قالت لي:

- الجميع يمدّد الكهرباء الآن، ألا ترى أن القوّاس نفسه قد مدّد الكهرباء إلى شقته، فما رأيك؟

ووافقت.

مددنا الكهرباء، وغمر نورها المكان. لكن يا إلهي، أيّ شيء هذا؟ فالبؤس والفاقة يضربان أطنابهما في كل مكان، وأنّى نظرت لا ترى إلا كلّ ما يثير القرف والاشمئزاز. فحتى الأمس القريب كنت تذهب إلى العمل صباحاً، ولا تعود إلا مع حلول الظلام. وبعد تناول الشاي تأوي إلى فراشك من دون أن تميّز شيئاً في ضوء القنديل الخافت أو الشمعة الهزيلة. أما الآن، وبعد أن غمر النور المكان، فترى الحذاء المهترئ، وترى ورق الجدران الملوث والممزق، وترى البق ينساب أفواجاً؛ هرباً من الضوء الباهر. وترى الخرقة، وترى أعقاب السجائر المبعثرة في كل مكان،

وترى، وترى...

يا إلهي، أية مصيبة هذه، فحيثما نظرت ترى ما يزعج البصر، وما لا يسرّ الخاطر؛ فالكنبة في غرفتي كانت حتى الأمس القريب كنبةً لا بأس بها، بل جيدة، وغالباً ما كنت أجلس عليها في الأماسي، وآخذ قسطاً من الراحة. أما الآن فلم أكد أشعل الضوء حتى وقفت قبالتها فاغر الفم، جاحظ العينين. أية كنبة هذه؟!. كلها ملوثة وممزقة، ومبقورة البطن في أكثر من مكان، ومن أحشائها تتدلى أكوام القشّ، ويدبّ كثير من الحشرات والهوام. من المستحيل أن يجلس المرء على كنبة كهذه، إن الروح تتمرّد على ذلك. يا إلهي، ما هذه الحياة التي أحيا؟ حتى مجرد رؤية ذلك تدفع إلى اليأس، وتثير القرف والغثيان.

ول تكن حياة يليزافيتا إيغناتيفنا - ساحبة ال سقة - بأف سل من حياتي، فتاها منقلّة بالهموم والأحزان، وهي ل تكفّ عن العمل ف الطبخ ال سغي. وأ سألها م سف سراً:

- ما الذي ي سغل بالك يا ربة البيت؟

أما هي فتلّوح بيدها، وتقول بأ سى:

- ل أكن أعرف - أيها ال ساب - أنني أعي س ف مثل هذا الفقر الدقع.

عندها ألقيت نظرةً على مطبخ يليزافيتا إيغناتيفنا، فلم أرَ إل سقط الثاع، والأغرا س العتيقة الهتئة، والأوان الني عل ها ال سخام وال سدأ. كل هذا يغمره النور الباهر، فيبرز ظاهراً للعيان، ويعر س نف سه من دون خجل أو حياء.

منذ ذلك الي أ سبحت أعود إل البيت متذمراً مهموماً، ول أكاد أ سل البيت، وأ سعل ال سوء، وأمل النظر من ال سباح الكهربائي، حتى آوي إل الفرا س وأنا نهب للأفكار والخواطر ال سوداء.

بعد أن فكرت ف الأمر مليّاً، وبعد أن قب ست راتبي، ا ستريت كميّةً من الكل س، وانكببت على العمل بهمة ون ساط. نزعت ورق ال دران الممزق والملوث، نخل ست من جحافل البق، مزقت س باك العنكبوت، ودهنت ال دران، فأ سبح كل سيء زاهياً نظيفاً يني البهجة ف النف س. بيد أن هذه البهجة ل تعمر طويلً؛ فلم أكد أفرغ من ذلك كله حتى قررت يليزافيتا إيغناتيفنا التخلّي عن الكهرباء، والعودة إل خدمات القنديل العتيق. وحي سألتها عن ال سبب، قالت:

- إن الحياة تبدو ف غاية ال سؤ ف ال سوء، فما الداعي إل ت سليط ال سوء على حياة كهذه؟

كم تو سّلت إليها، وحاولت إقناعها، و سقت لها كثيراً من الحجج والأمثلة حول فوائد الكهرباء، لكن كل جهودي ذهبت أدراج الرياح، ول أ ستطع إل إقناعها سبيلً.

أخيراً نفد سبرها من إلحاحي، وقالت:

- بو سعك أن تغادر هذه ال سقة، وتنتقل إل أخرى)مكهربة(، أما أنا ف سأعود إل سوء القنديل العزيز.

لكن هل النتقال إل سقة أخرى بالأمر ال سهل يا رفاق، خ سو ساً أنني أنفقت كثيراً على إ سلح هذه ال سقة!.

وهكذا حقت للأمر، وبقيت.

إن ال سوء سيء جيد يا رفاق، لكن لل سوء م ساويه أي ساً.

كتب زو سينكو هذه الأق سو سة عام 1925م خلل ذروة سيا سة كهربة التحاد ال سوفييتي.

أعـــلام

توقيعات الساسـة وشروحاتهم*

الملك فيصل نموذجاً

«دعـوة إلـى الـتـوثـيـق»

عبدالرحمن الشبيلي

الرياض - السعودية

لا بد في مطلع هذه المقالة من تبيان أن القصود بتوقيعات الخلفاء هو ما عُرف في الأدب العربي القدي بالتعليقات التي كان الخلفاء والأمراء والوزراء يكتبونها على ما يقدم إليهم من الخطابات والعاملات والشكاوى والعرائض، وهي شروحات تتميز بالبلاغة والإيجاز والسجع أحياناً، خُصّصت لها كتب التاث حيزاً من فصولها وروايتة ناذج منها.

ومن أمثلة تلك التوقيعات ما نقل عن هارون الرشيد من اطباً عامله على خراسان: داو جرحك لا يتسع، ومثل توقيع جعفر بن يحيى في قضية مسبوض: العدل أوثقه والتوبة تطلقه، وهكذا..

ولم نعرف فيما دُوّن من التاريخ الشفوي والكتوب لقادة هذه البلاد أنه تطرق إلى هذه التوقيعات، مع أن بعضها يحمل من الحكم والتأني والإيجاز والأهمية ما يستحق التوثيق، شأنه في ذلك شأن الأخبار والرسائل والتعليمات.

وكان اللك عبدالعزيز، في خطاباته وتعليماته ومكاتباته، يلك ناصية البلاغة في مثل هذه التوقيعات والشروحات والتعليقات على الرسائل التارية بينه وبين متبوعيه وعمّاله ووكلائه، أو بينه وبين الواطني بعامة، غير أن شروحاته الوجزة الأثورة عنه لم تنل نصيباً كافياً من التدوين. ونلحظ في حياتنا العامة أن ملوك هذه البلاد من بعده، يبدعون في كتابة التعليقات الوجزة أو في الإدلاء بها مشافهة، حتى إن بعضهم قد يصدر جملة واحدة تلخّص توجيهاته دون حاجة إلى إضافة في الشرح أو إطالة في التعبير، بل لعلنا نجد أن الواحد منهم يصدر عبارات التعليمات الماثلة في مناسبة استقبال أو توديع أو لقاء بالواطني والراجعي، وعلى من يستقبل مثل هذه التوقيعات الشفوية الختصرة أن يفك رموزها، ويفهم مضمونها، ويستوعب مغزاها، ولا يستعيدها من مُصدرها. ويراوح مغزى مثل هذه الشروحات والتعليقات بين إقرار قاعدة، أو استغراب منطق، أو استنكار إجراء، أو طلب تفاصيل، أو نحو ذلك.

ولا تتوقف أهمية رصد مثل هذه التعليقات اللطيفة، شفهية كانت أم مكتوبة، على طرافتها، وسرعة البديهة في طرحها فحسب، لكنّ الأهمية تكمن في مدى ما تقرره من أحكام، أو تعزز من مفاهيم، أو تنشره من معانٍ. وفي ظني أن فحص هذه الرسائل الشفوية لا يقل في أهميته عما اتجه إليه الباحثون مؤخراً من اهتمام بمضامين الخطابات. ويكفي أن نرى كيف أن كتب الأدب والتاريخ في التاث العربي -كالعقد الفريد والكامل والأغاني- تزخر بأمثلة هذه التوقيعات والتعليقات، وتتحدث عن مدلولاتها البلاغية.

لن أطيل كثيراً في توضيح القصود بهذه التوقيعات والشروحات في تراثنا العربي، لكن من يطلع على كتب السيرة النبوية الكرية، وعلى الكتب التي تناولت ازدهار الأدب في عصور الخلافة، وفي دواوين الأموي والعباسي وعند ملوك الأندلس، يلحظ مدى عناية الؤرخي السابقي بتدوينها وروايتها في القرون الاضية.

والواقع أنه يحمد لدارة اللك عبدالعزيز بخاصة، وللمكتبات



من طرائف تعليقات الملك فيصل، ما روي عنه أن حاجاً هندياً فقد أمتعته، وكان يضعها في طاسة كبيرة، فكتب الحاج إلى فيصل يقول له: «إن الطاسة ضاعت»، فكان تعليقه: ألم يدر أن الطاسة (ضايعة) من زمان

الوطنية بعامة، اهتمامها في العقود الأخيرة بتسجيل روايات التاريخ الشفوي التي قد تشتمل على شيء من هذه الشروحات والتوقيعات، إلا أن أحداً لم يُقدِم فيما سبق – على حد علمي – على تدوين تلك الروايات، التي قد تندثر وتختفي مع مضي الأعوام وتوفّي الرواة.

من هنا تأتي دعوة هذه المقالة إلى أن يشمل حفظ التاريخ الشفوي كل الطُّرَف والتعليقات والنوادر التي تصدر عن قادة هذه البلد وعلمائها ورموزها الثقافية، قبل أن تبدأ تلك الروايات بالانقراض والفوت أو التعرض للتحريف نقصاً أو زيادة أو تغييراً في الإسناد، وتبدأ مع الأيام تفقد وهجها، بما تحمله من مضامين ومدلولات بليغة ومؤثرة، فضلاً عن كونها أحد مصادر تاريخنا الوطني.

إن ما عنيته في مسألة الاختلاف في نسبة الروايات إلى أصحابها الحقيقيين أضرب عليه مثلاً بما ينقل عن الملك فيصل الذي كتب في حدود سنة 1389هـ على معاملة معروضة عليه بشأن خلاف على حدود مزارع تقع على إحدى ضفتي وادي الرمة بالقصيم، فكان أن جرى

الوادي في ذلك العام والمعاملة لا تزال قيد النظر، والخلاف مستمراً، فاستتبع الوادي مجراه القديم وحسم الأمر بين المتنازعين، فما كان من الفيصل إلا أن شرح على المعاملة بقوله: «طبّق الوادي صكوكه».

فهذه الكلمة الثانية ذات المدلول الفقهي تنسب إلى الملك فيصل، رحمه الله، وقد تكون وردت في أحكام الفقهاء القدامى، أو على ألسنة بعض القادة السابقين، إذ إننا كثيراً ما نسمعها بصيغ مختلفة منسوبة إلى عدد من مشايخ القرن الماضي، من أمثال الشيخ عبدالرحمن البواردي في شقراء، والشيخ صالح العثمان القاضي في عنيزة، وغيرهما.

إن من المهم أن الاهتمام بتدوين تلك الروايات المتناقلة شعبياً أن نوثق نسبة هذه الأقوال إلى قائليها الحقيقيين، شفهية كانت أم تحريرية.

وكما سبق، فإن من المعروف أن تلك التعليقات تختلف باختلاف موضوعاتها، وقد يترتب عليها وضع قواعد إدارية أو مواقف سياسية، وقد تحمل مضامين فقهية أو اجتماعية أو أدبية، وهي في الوقت نفسه قد تكون مقتبسة من القرآن الكريم أو السنة المطهرة، أو من عيون الشعر أو النثر، أو من الأمثال العربية والشعبية، أو جملاً من قول من صدرت عنهم، أو استشهادات من أقوال غيرهم.

ولعلنا نتذكر - مثالاً على ذلك - الجواب الذي بعثه الملك عبدالعزيز على رسالة يوسف الفوزان وزيره المفوض في مصر - بعد أن قارب المائة عام من العمر - يخبر الملك فيها بأنه رزق مولوداً، فكان أن علق بقوله سبحانه: «يحيي العظام وهي رميم». وكذا استشهاده بالمثل الشعبي المعروف: يرى الحاضر ما لا يرى الغائب؛ وذلك في خطاباته التي يبعثها لولاة الأقاليم لتفويضهم بالتصرف في بعض الأمور المحلية، حسب سلطاتهم التقديرية؛ لأنهم الأعرف بظروفها.

لقد اشتهر عن الملك فيصل أنه قد يرسل أحياناً - عبر توقيعاته وشروحاته - ما يقصد منه إيصال رسائل معينة إلى من خاطبه، وقد يحرف في جوابه الموضوع الرئيس الوارد في خطاب المرسل.

ومن أمثلة ذلك ما رُوي عن رده على برقية تلقاها من السفير في مصر إبراهيم السليمان العقيل، حول أمور ما كان الفيصل يرغب في سماعها منه، فقد اكتفى الفيصل بأن أجابه عن جزئية واحدة من جزئيات الرسالة، وأغفل الباقي عن قصد طبعاً. أما الرسالة الأبلغ فيما ينقل عنه من مواقف، فكانت تلك التي كان يكتبها رئيس ديوانه، عندما يروي مثلاً أن الفيصل قد اكتفى بهز رأسه، أو أنه

يذكر أنه ذات مرة سأل أحد الصحفيين الغربيين الملك فيصل عن صحة ما روي عنه من أن إسرائيل في جيب أمريكا، فكان رده: معاذ الله، إن ما قلته هو العكس

«لدى عرض الموضوع على النظر الكريم لم يوجّه بشيء».

فهذا النوع من المواقف التي تنسب إليه. كانت إيحاءات تعبيرية رمزية تؤدي مفهوماً يغني عن الكتابة، وهنا يقع المرسل في حيرة من أمره حيال ما يتوجب عليه اتخاذه، والحاذق من يفهم أن مثل ذلك الموضوع ما كان ينبغي رفعه أصلاً.

ومن الأساليب ذات الدلالات والنسبة في استقصاء المعلومات في مراسلات الفيصل مع بعض الجهات أنها قد تستدرج المرسل إلى الإفصاح عن معلومات إضافية كان ينبغي إرفاقها مع أصل المعاملة أو ذكرها في حيثياتها. ويدخل في أسلوبه ما عرف عنه أحياناً بأنه قد يتسلسل في طلب إيضاحات معينة إلى أن يفوت موعد المناسبة أو الموضوع الوارد في المعاملة الأساسية، فهو بهذا يتلافى إصدار توجيه بالرفض؛ لأنه لا يريد أن يحتسب عليه ذلك، وكثيراً ما كان يتبع هذا الأسلوب إذا كان الأمر يتعلق بحضور مؤتمر لا يرغب التوجيه صراحة بعدم حضور أحد المسؤولين له.

وقد نقل لي أحد الوزراء في عهد الملك فيصل أنه - أي الوزير - حضر أحد المؤتمرات التي كانت ذات طبيعة تتطلب البقاء عدة أيام في المؤتمر، فكان أن أجابه الفيصل بقوله: أحطنا علماً، ولكن لا تتأخروا عن مجلس الوزراء، في إشارة إلى أن مجلس الوزراء كان أهم من حضور المؤتمر المذكور، أو أنها كانت إيحاءة إلى أن الوزير قد تأخر.

وقد تضمن بعض توقيعات الفيصل وشروحاته دعابات طريفة، فقد خرج الشيخ صالح العباد ذات مرة واضعاً غترته على فمه مستغرقاً في الضحك، وكان وهو في طريق عودته من مكتب الملك إلى مكتبه يستعرض شروحات الفيصل على بعض المعاملات، ومن بينها معاملة رفعها محمد الفاسي يطلب مساواته بالمعاملة المالية للطبيب الشامي، فكان أن شرح الفيصل على المعاملة بقوله: يعامل الفاسي مثل الشامي، وكان الاثنان عضوين سابقين

ف م ل ض ال صورى القدي، حل الأول فيهما م ل الثان .

ومن طرائف تعليقاته، ما روي عنه أن حاجاً هندياً فقد أمتعته، وكان ي صعها ف طا صة كبية، فكتب الحاج إل في صل يقول له: »إن الطا صة اعت«، فكان تعليقه : أل يدر أن الطا صة صايعة من زمان.

ويقال إن أحد الوزراء القربي من الملك في صل أراد أن ين صو ط ف ق صية ف صاد مال، فكتب إل الملك م اولً أن يقلل من خطأ أحد أطراف الق صية، معللً ذلك بأنه صريك غي مبا صر ف صرقة المال العام، ف حي أن جرية غيه ف ال صرقة كانت مبا صرة، فكتب إليه الملك – بعد أن ا صتم من الو صاطة رائحة الإقليمية – يقول: ألي صوا كلهم حرامية ... !

ومن أقواله المأثورة، ما نُقل عنه ف إحدى جل صات م ل ض الوزراء، بعد أن تكرر دمار الطريق بي مكة المكرمة وجدة بفعل ال صيول، أنه قال: »ا صألوا البدو«، وذلك ف إ صارة إل عدم خبة مهند صي الطرق بأخطار الأمطار وم صارات الأودية وال صعاب .

واطلعت على صرح من الملك في صل على خطاب كتبته ال صتخبارات العامة ف الثمانينيات الهجرية، يت صمن و صاية بأحد الوزراء، الذي ا صتقبل على أر ض مطار الريا ض زوجة والده قادمة من ال صام، و صهّل عملية دخولها، لكن ال صتخبارات أخطأت ف إيراد صفة القرابة، فذكرت بأنها كانت حرم الوزير، فما كان من الفي صل إل أن كتب على الطاب: وهل فلنة زوجة فلن ؟

وو صلت إل ديوان الملك في صل معاملة تتعلق بأحد موظفي الدولة، وحملت نف صياً من ديوان الوظفي لأمر صابق من الملك في صل، ف صرح على العاملة بقوله: »ومتى كان ديوان الوظفي م ولً بنف صي أوامرنا؟«.

ولعل من أق صى اللذعات التي تن صب إل الملك في صل، أنه ف إحدى القمم العربية المبكرة، وكان قد ح صرها زعيم عربي أ صهب ف كيل ال صتائم للمملكة، فما كان من الفي صل بعد أن آلت إليه الكلمة إل أن ا صتهل حديثه بن ص ف بيت التنبي : وإذا أتتك مذمّتي من ناق ص .... فغ صت القاعة بالن صفيق ، ثم ا صتمر يلقي كلمته.

ومن إجاباته الهادئة، التي تعك ض ما عرف عنه من ص ب وتمّل وطول بال، أنه كان مرة ف أوائل الثمانينيات الهجرية)ال صنينيات اليلدية(يتناول طعام الع صاء مع الواطني، وكان

الملك فيصل في سطور

- ولد الملك في صل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل صعود –رحمه ال- ف مدينة الريا ض ف 1906م / 1324هـ..
- البن الوحيد لوالدته التي تنت صب إل ال صيخ م مد بن عبدالوهاب، رحمه ال.
- ت صرب صفات القيادة من والده الملك عبدالعزيز–رحمه ال- منذ نعومة أظفاره، فأر صله إل زيارات لبيطانيا وفرن صا مع نهاية الرب العالية الأول، وكان عمره 12 عاماً.
- عي نائباً للملك ف الجاز ف عام 1926م/1346هـ. ، ورئي صاً لجل ض ال صورى ف عام 1927م/1347هـ..
- قاد وفد الملكة إل مؤتر لندن ف عام 1939م/1359هـ. بخ صو ص الق صية الفل صطينية، والعروف بؤتر الائدة ال صتديرة .
- كان رئي ض وفد الملكة ووقع م ثلً لها على أن ي ص ض منظمة الأم التحدة ف صان فران صي صكو ف عام 1945م/1365هـ..
- مع تطور الدولة تقلد من صب وزير الارجية ف عام 1932م/1352 هـ.، بالإ صافة إل كونه رئي صاً لجل ض ال صورى، وقد ظل وزيراً للخارجية حتى وفاته.
- تول الكم بعد أخيه الملك صعود –رحمه ال – ف مار ض 1964م)1384هـ(.
- من ثوابت صيا صته حماية ا صتقلل بلده، والحافظة علي هويتها، وال صتم صك بيثاق جامعة الدول العربية، وكانت ق صية فل صطي أهم ق صية إ صلمية عربية بالن صبة إليه، وقد نح ف إن صاء منظمة الؤتر الإ صلمي التي ت صم الآن أكث من 50 دولة إ صلمية، كما أنه ا صتطاع قطع علقات أكث من 42 دولة مع إ صرائيل.
- ا صت صهد –رحمه ال- ف 25 مار ض 1975م)1395 هـ.(بعد أن صار بالملكة خطوات وا صعة ف طريق التقدم والنماء ب صيا صته الر صيدة الكيمة.

كان الملك عبدالعزيز، في خطاباته وتعليماته ومكاتباته، يملك ناصية البراعة هذه التوقيعات والشروحات والتعليقات على المراسلات الجارية بينه وبين مبعوثيه وعمّاله ووكلائه، أو بينه وبين المواطنين

من عادته أن يطيل نق ي الفاكهة عقب الطعام، فانتظره قادة الي ض طويلاً كي يبلغوه بقلق عن عدوان م ري ي ني على ن ران، فما كان منه إلا أن قال بلهجة القائد الحنك، غي آبه بح ر ها ن هم: وهل و ملوا حدود الري ض، أو ما معناه ؟

ويذكر أنه ذات مرة ألله أحد ال حفيي الغربيي عن حة ما روي عنه من أن إ رائيل ف جيب أمريكا، فكان رده : معاذ ال، إن ما قلته هو العك ض.

ورفعت إليه مرة معاملة ا تهم فيها تري اً على إلغاء وظيفة إمام م جد بناه أحد الح ني ف فناء منزله ار مفتوحاً للم لي من جهة ال ارع ومن جهة الفناء، وكانت الأوقاف تتّيز بي ال جد العام وال جد الخا ض، ف رح على العامل ة بقوله : وهل منع أحد من ال لة فيه، فكان أن عادت العاملة بهذه الحجة الوا حة الدللة.

ويذكر أن عدداً من ال ماي خ وطلبة العلم تدنوا، عند لقائهم الأ بوعي به، عما يحتويه التلفاز من منّوعات، ما كانوا يعدونه خروجاً عن المألوف من القيم الجتماعية، فكان أن اكتفى بالرد: »إننا ل ن اهد ما اهدته« .

وكما رأينا من الأمثلة ال ابقة، فإن توقيعات ال ماحة و روحاتهم، ف لاً عن بلغة الإيجاز فيها، تحمل م امي وتوجيهات إدارية ل تقل ف أهميتها عما تحمله الخطب والطابات، وهي إ ماءات برع بع ض القادة وال يا ي ف وغ عباراتها منطوقة أو مكتوبة، ووُهبوا فن الخت ار فيها، ف موهبة يندر أن يجيدها كثي من الإداريي.

وإذا كانت هذه المقالة، قد ق رت ف رواية ناذج أكث من أقوال الفي ل المأثورة عنه، فل أقل من أن تلفت الأنظار إل رورة الهتمام بجمعها، وجمع أمثالها مما روي – متواتراً ومتباً – على أل نة قادة هذه البلد وتعليقاتهم، فهي جزء من تاريخهم وفكرهم الإداري وال يا ي، ول تقل ف أهميتها عما تحر ض عليه من تدوين يرهم. ثم إن هذه النماذج، على قلّتها، تعك ض خ ية الملك في ل وأ لوبه ف الإدارة، وهو الذي يتوقع من ال ؤول أن يجتهد ويت رف وفقاً لما يليه عليه مي، ولعلنا هنا نختم بالتذكي بقولة ابنه الأمي خالد الذي التقى والده عند تعيينه أمياً لنطقة ع ي يريد منه التوجيه، فاكتفى بالرد عليه بأن يراقب » م افة ال وإر اء ال مي«.

ل يكن مت الملك في ل عن الإجابة ال تفي ة أو عن ال رح الطويل، يتل عجزاً منه، بقدر ما كان يريد من ال ؤول أن ينفهم م ؤوليته، وأن يت رف وفقاً لجتهاده، وألّ يرجع إليه ف كل غية وكبية.

هكذا كان في ل - رحمه ال - مدر ة إذا تحدّث، ومدر ة إذا مت، ومدر ة إذا رح أو وقّع.

---

* قدمت ف افتتاح معر ض »الملك في ل: اهد و هيد« ف المنطقة ال رقية 1431/3/7هـ)2010/2/21م(.

** باحث وإعلمي عودي .

الكلاش قبائل بدائية الطّبع، غريبة العادات، يغلب على عامتهم قلّة الثقافة والمعرفة، ويميل لون بشرتهم إلى البياض الجاف واللون القمحي، يزعمون أنهم من سلالة الإسكندر المقدوني، ولا ينتمون إلى ديانة معيّنة، بل ينفردون بثقافة غريبة، وتقاليد قلّما تجدها لدى غيرهم من شعوب العالم، كما أنّ معتقداتهم تختلف جذرياً عن المناطق المحيطة بهم؛ فهم يقدّسون آلهة كثيرة تماثل آلهة الإغريق القدماء، ويعتقدون في السّحرة والكُهّان والعرّافين الذين يتحدثون إليهم عن مواسم الأمطار والرخاء والجدب وكساد الإنتاج الزراعي، ويهتمون اهتماماً خاصاً بمراسمهم الدينية واحتفالاتهم الموسمية التي يصاحبها اللهو واللعب والنشاط والرقص والتصفير والترنيمات كطقوسهم الدينية؛ إذ يعتقدون أن الأرواح الشريرة تهرب بواسطة الرقص والموسيقا، كما تفرح الأرواح الطيبة بالاستماع إليها، ويبالغون في الأمر إلى درجة أنهم يروون أن الأرض تفرح بالموسيقا والرقص كذلك، فتنبت أنواعاً جيدة من الحقول والنبات.

وادي الكلاش

فريــدة التـــاريخ وعروس الطبيعة

سعد الله المحمدي
بشاور - باكستان

وتنقسم أغان الكل ش إل ثلثة أنواع:)دو شا(، وهي الأغان الدينية، و)درازاليك(، وهي أغان الأموات والجنائز، و)جار(، وهي أغان م ّ ش شة ال لل شبات الفرح والسرور واحتفالت الزواج.

ونظهر على الكل ش علمات البساطة وقلّة المعرفة والبطالة ف الوقت نفسه، ولكنّه شعب ودود وعطوف ومقدّر للزائر، يحبّ الأمن والستقرار والهدوء والوئام والسلم، يقضي يومه ف الزراعة والسرع، ينظر يميناً و شمالً فل يرى إل القول الخضراء، والناظر الطبيعية البديعة، والسرة الدكناء التي تنام على حافة الجبال، وينظر أمامه فل يرى إل القمم العالية التي تحفها الثلوج البيضاء، فيتنفس ف الهواء النعش ال شاف، ويستمتع بمياه نهر)ببوريت(النقي الذي يتشكّل عن مئات العيون العذبة والمياه الحلوة؛ ليضيف خريره جمالً ورونقاً آخر إل لوحة الطبيعة التي تنطقّ بجانبيها الجبال الخضراء التي تغطّيها أشجار الصنوبر والبلوط لتقدم تحّياتها إل القادمين والغادرين.

الدين لدى الكل ش هو مجموعة من الرسوم والعادات الشائدة التي يعملون بها من قديم الزمان، فيعبدون الأصنام، ويقدّسون الأجداد، ويعتقدون بالخرافة والوهم، ويستغيثون بالجنّ، ويقدّمون لهم القرابين والنّذور - أعاذنا الله وإيّاكم -، ويسمّون أكبر آلهتهم)آمرة(؛ أي: صاحب الأمر والنهي، ويرون أنه يشرب من دم الذبيحة التي تذبح باسمه، ولديهم آلهة كثيرون؛ ف)كت شوان(إله الحيد، و)جاكيج(إله كثير النسل العز، و)شيكان(إله الصحة، وغير ذلك.

ويلقّبون الكاهن ورجل الدين ف لغتهم ب)نابان(، كما يسمونه)ديهار(، وهو ل يحتاج إل ثقافة ومعرفة معينة، بل يتمّ تعيينه إذا طرأت عليه حالة طارئة من الوجد والطرب ف أثناء الذبح باسم الآلهة.

الثروات والمحاصيل

يعتني شعب الكل ش عناية فائقةً بالثروة الحيوانية وتربية المواشي والأغنام، كما أنهم يهتّمون بالحاصيل الزراعية؛ إذ ينتج ف واديهم أنواع كثيرة من الفواكه؛ كالتفاح، والعنب، والرّمان، والتين، والكمثرى العالية الجودة، والخوخ، والتوت، والجوز، والمشمش، وغيرها.

وتعدّ الحصولت الزراعية من أهمّ روافد الحياة ف الوادي، ويهتم المتطوعون اليونانيون الذين يعتقدون بتوحيد أصولهم مع

الكلاش بإصلاح قنوات الرّي، وإنشاء جداول المياه؛ حرصاً على زيادة الإنتاج الزراعي في الوادي، إلا أن الأرض شحيحة تنتج محصولاً واحداً في السنة، وينبت فيها القمح والذرة والفاصوليا، ويكثر فيها إنتاج البهارات والمكسرات والقمحيات عامة.

ويكثر اهتمام الكلاش بالثروة الخشبية؛ لاستخدامها في بناء البيوت التقليدية، والاستفادة منها كوقود خلال موسم تساقط الثلوج على المنطقة الذي يستمر أكثر من أربعة أشهر سنوياً؛ إذ تعدّ شبه منفصلة عن بقية الوطن خلال الشتاء من كل عام.

على نوع من الطين الأحمر في جبال بوربريت، وهو طين يشبه الصلصال، ويحرق مثل الزيت تماماً. كما اكتشف بها عدد من معادن الأحجار الكريمة، ومعادن الرمر المتلألئة. كما وجد بها متخصّصو الأعشاب عدداً كبيراً من الأعشاب المفيدة التي تستخدم في الطب المنزلي، وصناعة الأدوية الطبية في باكستان وغيرها.

الجبال والحيوانات

جبال الوادي عالية ومرتفعة، وبعضها مغطّى بأجود أنواع الخشب الممتاز، تكسوها الثلوج في الشتاء، وتكسوها الخضرة على مدى البصر في موسم الصيف. ويسوق الكلاش الماشية إلى المراعي القريبة منها، ويتركونها دون الراعي أحياناً، فترعى في الكلأ، وتعود بعد مدة إلى بيوتها من دون أن يمسّها سوء من الوحوش، أو تفقد بيوتها، أو تخطئ في الوصول إلى مكانها من حظيرتها.

ويوجد في قمم الجبال المرتفعة والغابات الصنوبرية عدد كبير من الحيوانات البرية؛ كالغزلان، والأرانب البرية، والظباء، والماعز البري، والدبب السوداء، والطيشان، والنمور الثلجية، والصقور، والغربان، والحمائم البيضاء وذوات اللون الأرضي. كما يوجد بها عدد من الطيور والببغاوات والعصافير التي لا تنفكّ عن التغريد ليلَ نهارَ مسبّحةً للمتعال على ما منّ به على المنطقة من نعمة وجمال وأمن واستقرار وهدوء ووئام. وقد تمّ الكشف مؤخراً

الزي التقليدي الكلاشي له سماته الخاصة

العادات والتقاليد

لقد كان من أسباب شهرة قبائل الكلاش وذيوع صيتها انفرادها بعادات خاصة عن بقية العالم؛ ما جعلها محطّ أنظاره واهتمامه. ومن هذه العادات:

- الرقص وإقامة الحفلات الغنائية للميّت بحسب مكانته الاقتصادية وموقعه الاجتماعي؛ إذ تستمر هذه الحفلات ثلاثة أيام على

يأكل الكلاش الميتة، ويشربون الخمر، ويسقونه الصغار أيضاً، ولا يصافحون المسلمين؛ لزعمهم أنهم في حالة نجاسة، ولا يريدون أن يتنجّس المسلمون بمصافحتهم

برطالو حرفلل ش لكلل ةيئك تابش انم

ال شخ ش الّثّي، ويومي على منو شط الدخل، ويوماً واحداً على الرجل الفقي، ويرون أنهم يريدون بذلك كري التّي ونودعيه بفرح و شرور كما ا شقبلوه بفرح و شرور عند الولدة. فالرق ش والو شقيا جزءان مهمان من حياتهم، فل تّر م انه شبة فرح أوحزن من دونهما، ومن ثّم ل توجد لديهم فِرَق خا شة للرق ش، بل ي شابق فيه كل واحد غيه ليبدي البا اعة والنجابة ف ميدانه.

- وكان من عاداتهم القديمة و شع اليت مع شلحه ونقوده وأغرا شه ف شندوق خ شبي من دون دفنه ف الأر ش، وتغّيت هذه العادة إل و شع اليت ف التابوت ودفنه؛ حفاظاً على البيئة من الأمرا ش والأوبئة. والكل ش ل يعّدون الوت شبب الهّم والزن، بل يعتقدون أن الروح كانت حبي شةً ف البدن فتمّ إطلق شراحها.
- ومن عاداتهم رفع النائز و شط إطلق عدد من أ شوات البنادق القوية شوب الهواء فرحاً و شروراً بالنا شبة. ويعّدون الوت موتاً مقد شاً ومباركاً خلل أ شهر مار ش وإبريل ومايو،

ويحتفون م شمات خ شبية للموتى من أ شحاب الثاء والال؛ تخليداً لذكراهم. كما أنهم يتكون مع التّي وعاء الاء وكمية من الطعام؛ لزعمهم أنه مطالب بذلك من الغيبيات.

- ومن عاداتهم أن الرجل إذا ماتت زوجته يظّل جال شاً على باب بيته ليق شي العّدة، فل يغادر الباب، ول يعمل عملً آخر إل انق شاء العدة، وهي ثلثة أ شهر، أو إل م يء مهرجان)جلم شوت(ال شنوي، ويطلق الرجل ليه خلل مدة العدة كذلك.
- ومن عاداتهم أن الرأة ن شتطيع إبدال زوج آخر بزوجها إذا

على المرأة أن تغادر البيت في أثناء الدورة الشهرية ومدة الولادة إلى المبنى المستقل المعدّ للحوامل والحيّض الذي يُسمّى (بشالين)، وهو مبنى منسوب إلى إله الميلاد حسب زعمهم

استطاع الآخر أن يقدم ضعفي من صداقها إلى الزوج الأول، ويعدّ هذا الزواج من أسباب الفخر والتعالي بين الكلاش، هذا إذا كان الزوج الآخر من قبيلة الزوج الأول نفسها، أما إذا لم يكن من قبيلته فلا يحقّ للزوج الأول طلب شيء سوى أن يرفع للناس قلنسوته من رأسه، وبذلك تنتهي المشكلة نهائياً.

- ومن عاداتهم في الزواج أن الكاهن يرشّ دم الذبيحة على الرجل والمرأة في معبدهم (جشتك هان) الذي بناه اليونانيون بلون أسود غامق موّف اللون، وزيّنت أبوابه وأعمدته بأرقام توحي بحياة الإله اليونان.
- ومن عاداتهم أن المرأة تستحمّ وتتطهّر وتغسل أياديها في مكان مخصّص لها في البيت، كما أنها لا تأكل في الأواني التي أكل فيها الرجال، بخلاف الرجل الذي يستطيع أن يستحمّ ويغسل يديه في أيّ مكان.

الأعياد والاحتفالات

اتخذ الكلاش عدداً من أيام السنة أعياداً خاصة بهم، يجتمعون فيها يمرحون ويغنّون ويرقصون ويشربون الخمر. ومن هذه الأعياد:

- (جوشت) أو (جوشي): ويُقام بعد منتصف شهر مايو، ويعدّ عيد الربيع؛ إذ يستعد الكلاش لإرسال قطعان الأغنام إلى الجبال والبوادي، ويجمعون كميةً كبيرةً من الحليب والجبنة والمنتجات اللبنية الخاصة لهذه المناسبة، فيحرّمون استخدام الحليب في البيوت قبل المهرجان بثلاثة أيام؛ ليقدموها إلى المشاركين معهم في الاحتفال.
- (أجال): وهو عيد له علاقة بموسم حصاد المحصول، ويكون وسط يوليو، يقدمون فيه أنواعاً من الأطعمة باسم الآلهة، ويصاحبها اللهو والتصفيق والغناء والرقص كنوع من التقرب إلى الآلهة.
- (جترمست): وهو من أشهر أعيادهم، والعيد الأكبر لهم، ويبدأ في الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر/كانون الأول مدة عشرة أيام، ويتزامن مع الانقلاب الشتوي، ويعدّونه عيد الشكر لآلهتهم. وتقام احتفالات العيد وسط معبد الكلاش (جشتك هان)؛ بسبب البرد القارس في الخارج، فيرقصون حول دوائر النيران المشتعلة في وسط المعبد؛ لتطهير النفس من الذنوب حسب زعمهم.
- ويأكل الكلاش الميتة، ويشربون الخمر، ويسقونه الصغار أيضاً خلال هذه الأيام، ولا يصافحون المسلمين؛ لزعمهم أنهم في

اهتمام كبير للمرأة بالزينة

وللمرأة الكلاشية نشاط مميز

حالة نفاس، ولا يريدون أن يتنجّس المسلمون بمصافحتهم. كما أنهم يطبخون أرغفة شهية من الخبز قبل حلول هذا العيد ويتركونها في الغابات؛ اعتقاداً منهم أن أرواح الموتى الجائعة تأكلها، وبذلك يكون لها المشاركة في الاحتفالات.

خصائص المرأة في مجتمع الكلاش

- تتميّز المرأة في مجتمع الكلاش بلباس خاص وموحّد، ويعتنون به عنايةً فائقةً، ويعدّون أدنى التهاون فيها خروجاً عن ملّتهم، وهي تتكون من الشروال والقميص الأسود الطويل الذي يطرّز بألوان زاهية من اللون الذهبي أو الأخضر والأحمر على أكمامها وخط الذيل. وتحمل المرأة في عنقها عقوداً من الجواهر واللآلئ الكثيرة والأصداف الكثيرة التي تتساقط على صدرها ونحرها، وتلازمها طوال حياتها، وتدفن معها بعد وفاتها.

- وينظر الرجال إلى النساء نظرة إشفاق ودونية؛ إذ يعدّونها أقلّ شأناً ومنزلةً من الرجال، ولكنها تتمتّع ببعض الشؤون والميزات؛ مثل التعامل معها باحترام وتقدير، فلا يضربها الرجل ولا يشتمها أبداً. كما أن المرأة تحظى بقدر كبير من الحرية المطلقة؛ إذ تستطيع المشاركة في أي حفل غناء ورقص من دون إذن الزوج، شريطة ألّا تكون في حالة دورتها الشهرية.
- وعلى المرأة أن تغادر البيت في أثناء الدورة الشهرية ومدة الولادة إلى المبنى المنعزل المعدّ للحوامل والحيّض الذي يُسمّى (بشالي)، وهو مبنى منسوب إلى إلهة الولادة حسب زعمهم، شيّده اليونانيون فوق نهر بمبوريت خشية على الحوائض والنفساوات، مشتملاً على غرف للراحة، وحمامات للغسل. وتأتي لكل امرأة بطعام (غير مطبوخ) لقريباتها الموجودة في المبنى، وتضعه على حافة الباب حتى تأتي وتأخذه، ولا ترجع إلى البيت إلا بعد استعادة نقائها وطهرها الكامل.
- ويمنع على الرجال المشاركة في دفن المرأة التي ماتت في أثناء الحمل والولادة في مركز الحوامل (بشالي)، بل لا تدخل الجنازة إلى بيتها، بل يقوم عدد من النساء بأمر تجهيزها ودفنها في مكان مستقلّ لأمثالهن في المقبرة.
- ويلازم المرأة الكلاشية الناي والشور ملازمة الظلّ لصاحبه، تلهي بهما نفسها في أثناء الرعي والزراعة والعمل في البيت والحقل، وهي تتفنّن في استخدامهما، وتأتي بالغرائب والعجائب عندما تتسابق مع زميلاتها في نفخ الشور، وكأنها تخرّجت في إحدى كليات الفنون أو احترفته حرفةً.

دار الكلاش

تم إنشاء دار الكلاش - وهي الدار الوحيدة من نوعها في

من عادات الكلاش رفع الجنائز وسط إطلاق عدد من أصوات البنادق القوية صوب الهواء فرحاً وسروراً بالمناسبة. ويعدّون الموت خلال أشهر مارس وإبريل ومايو موتاً مقدساً ومباركاً

العالم الشاملة على كل ما له صلة وعلاقة بالكلاش؛ هذه البقية الباقية من التاريخ القديم - عام 2004م بعد عمل استمر عامين، ويبعد عن أيون – المعبر الرئيسي الوحيد إلى الوادي - بـ17 كيلومتراً. ويتكون الدار من مبنى من ثلاثة طوابق تمّ إنشاؤه على نفقة وزارة الخارجية اليونانية حسب اللوحة التذكارية التي تمّ نصبها عند بوابة الدخول، ويشتمل على مرافق تعليمية، ودار الضيافة، ومواقف السيارات، وحوض كبير، ومتحف مختص بثقافة الكلاش وتاريخهم منذ عدة قرون. ويوجد في هذا المتحف:

- الأواني الفخارية التي استخدمها الكلاش على مدى التاريخ لحفظ الأغراض، وهي أوانٍ مصنوعة من الفخار والزفت بشكل بدائي جداً.
- الحلي والجوهرات وأدوات الزينة والملابس الخاصة بالمرأة الكلاشية.
- الملابس الرجالية المصنوعة من الصوف التي تختلف باختلاف الأحجام والمقاسات.
- الأسلحة ومعدات الحرب وآلات القتال والصيد الخاصة بالكلاش؛ مثل: السيوف، والبنادق، والسهام، والفؤوس، وغيرها.
- أدوات الطبخ والتخزين والتعجين، ومعظمها أدوات حجرية قديمة.
- الأصنام الخشبية والحجرية المنقوشة، وآلات الحياكة والنسيج المصنوعة من الأخشاب القوية.
- أدوات المنزل ولوازم البيت من الأسرّة الخشبية التي تُشدّ حبالها من جلود السباع، ووسائل تعليق أخرى استخدمها الكلاش كراسيّ للجلوس أمام المدفأة، وعجلات الطواحين الحجرية.
- السلال المصنوعة من الأحجار العريضة، وكذلك من الخشب بشكل يلفت انتباه الناظر.

بين المرأة والرجل

- المرأة تقوم بأعمال نسج الصوف، وتربية المواشي، ومساعدة الرجل في أعمال الرّي والزّراعة. وتُعرف المرأة بلباسها التي تشبه العُبّة السوداء، وتضع على رأسها طاقية مزركشة ذات ذيل طويل. وخلال مزاولة العمل في الحقل، أو عدم وجود الطاقية الخاصّة، تضع المرأة قطعةً من القماش على رأسها لتغطية شعرها، ومردّ ذلك إلى التأثر بالنساء المسلمات.
- أما الرجل الكلاشي فيضع ريش النعام في طاقيته المصنوعة

وادي الكلاش .. كافرستان

(كافرستان)؛ أي: بلد الكفّار: كلمة يطلقها عامّة الناس ورجال الشارع على وادي الكلاش الذي يبعد 40كم عن مدينة شترال الباكستانية التي تقع في أقصى الشمال من البلد تماماً على هضاب الهندوكوش الخضراء، وتعانق قمّة التيرتشمير العالية التي تناطح السحاب بارتفاعها الشاهق البالغ 25760 قدماً عن سطح البحر. ويعيش في هذا الوادي المليء أعراق منحدرة من أحفاد الإسكندر المقدوني مباشرةً، كما يرى علماء الأنثروبولوجيا؛ ليواصلوا معركتهم مع الحياة البدائية في عصر العولمة، في موقع متميّز وساحر للطبيعة الخلابة التي تفتن الزائر بجبالها الخضراء، وأوديتها المنحدرة، وهضابها العالية، والحقول الشاسعة، والحدائق الغنّاء، والظلال الوارفة، والمراعي الواسعة، التي يشقّها نهر (بمبوريت) المكوّن من مجموعة من الأنهار العذبة المياه المعدنية النقيّة التي تنحدر لتشارب نشوة وادي الكلاش، وتنعش فيه روح المرح والسرور، والتغنّي بجمال الطبيعة الساحرة التي أبدعها الخالق وأتقنها.

وادي الكلاش غنيّ بالغابات الكثيفة، والزراعة الكثيفة، والأزهار الزاهية الألوان الزكية الرائحة، وشلالات المياه التي تهبط من قمم الجبال، كما أنه يتميّز بجوّه الهادئ الطلق، وهوائه الناعم النقي، وتتراوح درجة الحرارة فيه في الصيف القارس بين 23 و27 درجة؛ مما يؤهّله ليكون عروساً جميلة تخرج من صالون الطبيعة الأنيق، ويحقّ لها أن تدير الرؤوس وراءها، وتجذب انتباه قوافل السياحة العالمية خلال موسم الصيف من كلّ عام. ويقع الوادي بين خطي طول 46 و71، وعرض 40 و75، مشتملاً على ثلاث مناطق بحالها المعينة الحسن والجمال، هي: (بمبوريت)، و(رمبور)، و(بيرير)، بمساحة قدرها ستة آلاف كيلومتر، تشتمل على سبعة آلاف نسمة من هذه البقية الباقية التي تنتمي إلى التاريخ القديم، وتعيد ذكرى حضارة بادية لم تبق إلا آثارها المتمثلة في عادات هؤلاء الذين يسكنون في هذه الأودية الجميلة وتقاليدهم.

معناها: اللغة. ولعلها سُمّيت بهذا الاسم لشيوعها في منطقة الشتال التي تقع بين سلسلة من الجبال في أقصى الشمال الباكستاني على حدود ولايتي كنر وبدخشان الأفغانيتين.

- كجرية: وهي لغة أهل الغجر، وهم أهل البوادي.
- وتنتشر اللهجات المتعددة في الشتال انتشاراً هائلاً، ولكنهم يتفاهمون فيما بينهم بلغة (الكهوار)، وتذيع الإذاعة الباكستانية عبر شبكة البرامج الخاصة لأهل المنطقة بهذه اللغة، ولا توجد بها صحيفة يومية حتى الآن، ويقوم مجلس تنمية لغة الكهوار (أنجمن ترقي كهوار) في إسلام آباد بإصدار صحيفة شهرية اسمها (جمهور إسلام)، كما قام المجلس بتفسير معاني القرآن الكريم وترجمتها إلى اللغة الكهوارية بواسطة الشيخ قاري بزرك شاه الأزهري إمام البلان الباكستاني وخطيبه، إضافةً إلى ترجمة كتاب (تبليغي نصاب) للشيخ محمد زكريا، وكتاب (تعليم الإسلام) للمفتي كفاية الله إلى اللغة المذكورة.

كلمة الشيخ

تدلّ كلمة (الشيخ) في قبائل الكلاش على معانيها المعروفة في العربية، من إطلاقها على رجال العلم والثقافة وأهل الثروة

توجد في قمم الجبال المرتفعة والغابات الصنوبرية عدد كبير من الحيوانات الجبلية؛ كالغزلان، والأرانب الجبلية، والظباء، والماعز الجبلي، والدبب السوداء، والطيسان، والنمور الثلجية، والصقور، والغربان

الماشية مصدر رئيسي للدخل عند الكلاش

والأمراء، لكنها تنطلق على الشخص حديث العهد بالإسلام؛ فالمسلم الجديد يسمونه "شيخاً"، وينتقل من قرية الكلش إلى قرية المسلمين الجدد؛ ليتعلم مبادئ أحكام الإسلام، وأداء الصلوات، وتربية الأولاد في الحلقات القرآنية المنتشرة في المساجد. ويوجد بجوار الكلش قرية كبيرة للمسلمين اسمها (شيخانده)؛ أي: قرية الشيوخ، سُمّيت باسمهم بعد أن أسلموا منذ نحو قرن تقريباً.

الأصول المتعددة

شترال خليط من الثقافات المتنوعة واللغات الكثيرة، شعبه ودود ومضياف، متوسط الدخل، وتعامله مع الزوّار مملوء بالاحترام المتبادل بين الثقافات. وتتعدد الأصول والأنساب والأعراق في المنطقة؛ فقرية النورستانيين جاءت من منطقة كامديش في أفغانستان زمن الأمير عبدالرحمن خان؛ خوفاً من اعتناق الإسلام، واستوطنوا في وادي بمبوريت، وهم يتحدثون باللغة النورستانية، وتتوحّد عاداتهم وتقاليدهم مع النورستانيين الأفغان، ولهم صلات وقرابات بهم إلى الآن، وهم متمسكون بالإسلام بقوة، ومحافظون عليه بشدة، ولقد صدق الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا».

اللغة الفارسية

خلال وجودي في بهو أحد المطاعم قابلني بعض الشباب من منطقة (مدكلشت) في وادي شيشكو، وهو وادٍ قريب من دروش، الذي يُقام فيه المهرجان السنوي للعبة (البولو) بارتفاع 12500 قدم عن سطح البحر. قال لي مرافقي عبدالناصر منصور خريج الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وأحد الشخصيات الشهيرة في المنطقة: إنهم يتحدثون باللغة الفارسية، فتعرّفت إليهم، وبدأت الحديث معهم بالفارسية التي أجيدها، وقالوا: إنهم لا يزالون يتحدثون الفارسية حتى في منازلهم. تفرّست في وجوه الشباب، فإذا قسمات وجوههم كثيرة الشبه بمسلمي بلاد ما وراء النهر من بلدان الجمهوريات الإسلامية في أواسط آسيا. ولقد صرّح لي أحدهم بأن أصول الناطقين بالفارسية وأعراقهم تتشكّل من إيران والولايات الشمالية في أفغانستان، إلا أنهم أصبحوا حالياً جزءاً من باكستان بحكم هجرة أجدادهم إلى المنطقة قبل قيام باكستان عام 1947م.

إعلان المؤاخاة

تنتشر في وادي الكلش عادة بين المسلمين والكلش تدعى بلغتهم (حوار الأديان)، ويُطلق عليها (المؤاخاة)؛ إذ يتم التآخي بين شخصين؛ أحدهما مسلم، والآخر كلشي، بأن يقوموا بإعلان التآخي بينهما بذبح الذبيحة ودعوة الناس للإشعار بذلك.

ولقد تمّت إقامة مثل هذه الحفلات الأخوية والصداقات المهمة بين المسلمين والكلش، وكانت لها نتائج إيجابية عظيمة؛ فالمسلم الذي يتآخى مع أحد أفراد الكلش يعدّه أبناؤه وبناته عماً لهم، ويعاملونه معاملةً مملوءة بالحب والاحترام المتبادل، ويستمعون إلى كلامه ونصائحه.

وقد أسلم بموجب هذا التآخي عدد من الكلش بعد أن تأثروا بالأخلاق والآداب الإسلامية وسماحة الدين الإسلامي ونبله، وأعتقد أن هذا هو المنفذ الكبير لنشر الإسلام الصحيح بين هذه القبائل. ولم يؤثّر ذلك في المسلمين سلبياً، خصوصاً أن الكلش لا يدعون أحداً إلى اعتناق دينهم؛ بمعنى أنهم لا يتحمسون لنشر دياناتهم وعقيدتهم بين الآخرين.

المسلمون والمسلمون الجدد

لقد كان الإسلام ينتشر بسرعة في أوساط قبائل الكلش قبل عدة أعوام؛ إذ كان المسلمون يسمونه بالمسلم الجديد، ويحتضنونه ليستقبلوه وتوفير حاجاته من الإسهام في إنشاء بيت مستقلّ له في قرية المسلمين الجدد في (كركال). ولكن قلّ نشاط المسلمين واضمحلّ، وتحمّس اليونانيون وتقدموا إلى المنطقة بأموالهم ووسائلهم للإبقاء على الكلش وثقافتهم؛ انطلاقاً من زعمهم توحيد أعراقهم وأصولهم مع الكلش، فقاموا ببناء المدارس الخاصة لتعليم أبناء الكلش وتربيتهم، وتخصيص المنح الدراسية لأولادهم في الجامعات اليونانية والأوروبية، فقلّ اعتناقهم الدين الإسلامي حالياً؛ مما يدعو المسلمين والمؤسسات الإسلامية إلى اتخاذ إستراتيجية مناسبة لدعوتهم وضمهم إلى قافلة النور والهدى.

فخ السياسة
أفسد معرض القاهرة للكتاب

«العرض نجح في أن يكون منزلاً مخصصاً للكتاب، يضم أبرز الناشرين العرب والدوليين، لكنه لم يعد عرضاً للثقافة وأهل الفكر والرأي والإبداع في المجالات كافة».. هذا جزء مما يقال عن معرض القاهرة الدولي للكتاب، وحوله قدم موقع «م يط» تقريراً بعنوان «فخ السياسة أفسد معرض القاهرة للكتاب».

أكد الصحفي حلمي النمنم - نائب رئيس الهيئة العامة للكتاب - التي نظمت العرض) أن العرض يتراجع أداؤه حيث إنه يتحول لساحة جدل سياسي بين التيارات المختلفة، ومع أن مثل هذا الجدل يرضي الجمهور إلا أنه يصرف جهود القائمين على العرض إلى معالجة مشكلات أمنية وإعلامية كبيرة في حين يخفقون في تحقيق هدفه بوصفه معرضاً دولياً للكتاب).

واتفق كل من الناقد د. صلاح فضل، والأديب يوسف القعيد، وهما عضوان في لجنة النشاط الثقافي في العرض، على أن الفعاليات تناسب طبيعة المرحلة الحالية والثقافي والجمهور المصري.

ويرى الأديب نبيل فاروق أن أداء العرض فاتر، وأن 90٪ من موضوعاته الثقافية والمشاركين فيها معتمد على المجاملات.

وقال الناقد د. يسري عبدالله: إن العرض تحول إلى أداة للثقافة الرسمية بدلاً من أن يتجاوز داخله تنويعات المشهد الثقافي، أما د. حسام عقل - مدرس النقد الأدبي بجامعة عين شمس - فيرى أن العرض نجح من الوجهة الكمية بمشاركة عدد كبير من دور النشر داخل مصر، فضلاً عن المشاركات العربية والدولية، ولكن ما يلحظ عليه هو شحوب النشاط الفكري والنقدي المصاحب.

ورد د. النمنم بأن العارضة موجودة، ضارباً المثل بمشاركة بهاء طاهر عضو حركة كفاية، وكذلك مشاركة حسين عبدالرازق - الأمين العام لحزب التجمع - و د. محمد سليم العوا - الأمين العام لاتحاد العلماء المسلمين.

لغز حياة
توت عـنخ آمون وموت

قالت صحيفة «الإندبندنت» البريطانية: إن لغز نسب الفرعون توت عنخ آمون الذي ظل مجهولاً قد تم حله أخيراً بعد أن ظل مطوياً لأكثر من 30 قرناً تحت لفائف مومياء الفرعون الشاب وقناعه الذهبي. وفي تقرير بثته إذاعة الـ «بي. بي. سي» أن التقنية الجديدة حلّت ألغاز حياة الفرعون الشاب وموته فضلاً عن ألغاز تاريخية أخرى، وذلك في إشارة إلى استخدام العلماء فحص الحمض النووي لمومياء الفرعون اللغز. ونقل الدكتور زاهي حواس - الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار في مصر - كشفه نتائج الفحص الشامل الذي أجري خلال الشهور الثمانية عشر الماضية على مومياء الفرعون.

كتابات منسية لمي زيادة

صدر مؤخراً كتاب بعنوان «كتابات منسية» لمي زيادة جمعته وحققته الباحثة الألمانية أنتيا زيغلر المتخصصة في الدراسات الشرقية المعاصرة، وصدر عن دار نوفل في بيروت.

ويتضمن الكتاب أكثر من 170 نصاً لمي تعود إلى عشرينيات القرن الماضي وثلاثينياته، ووضعت المؤلفة مقدمة موسعة لم تكتفِ فيها بالحديث عن المطبوعات التي حملت مقالات مي، ولا بالإشارة إلى الكتب والدراسات التي تناولت هذه الأديبة، بل وضعت تحت المجهر بعض القضايا الإشكالية التي نادراً ما كان الباحثون العرب يجرؤون على ملامستها خوفاً من حساسيات دينية وإقليمية واجتماعية.

وتعكف الباحثة الألمانية أنتيا زيغلر حالياً على إنجاز أطروحة الدكتوراه في إحدى الجامعات الألمانية عن مي زيادة؛ ما يعني أن المقدمة جاءت موجزة ومكثفة، وفي الوقت نفسه تشكل مؤشراً لاتجاهات الدراسة الجامعية. ومن العناوين السريعة، لكن الدقيقة والمعبرة في المقدمة: انتقال مي زيادة من الرومنطقية إلى الواقعية، ومن الابتعاد عن السياسة إلى محاولة التأني فيها، وأصوات ناقدة في الثلاثينيات، والكاتبة المسيحية، والكاتبة اللبنانية والقومية المصرية، ونعوت في الصحافة المصرية خلال الثلاثينيات وأثناءها في مي زيادة.

العددان 405 - 406 / الربيعان 1431 هـ

مشاركة سعودية في مهرجان التعددية الأُسترالي

اجتذبت الألوان الفلكلورية السعودية زوار مهرجان التعددية الثقافية الوطني الأسترالي في العاصمة كانبرا بشكل لافت، وقد أعرب كثير من الزوار عن انبهارهم بما عرفوه عن الإرث الثقافي للمملكة العربية السعودية، كما أشادوا بمشاركة المملكة في هذا المهرجان الوطني الأسترالي، إذ افتتح حسن طلعت ناظر - سفير خادم الحرمين الشريفين لدى أستراليا - المشاركة السعودية ضمن المهرجان التي تضمنت معرضاً لصور الحرمين الشريفين، وكتباً ومطبوعات إعلامية، وأفلاماً وثائقية باللغة الإنجليزية، وصوراً ولوحات تبرز تراث المملكة الحضاري ومنجزات نهضتها المعاصرة.

وأكد السفير في تصريح له أهمية المشاركة في الفعاليات الثقافية المتنوعة التي تعد جسراً مهماً لإيصال رسالة المملكة الناهضة وما تحمله من قيم ومعانٍ حضارية إلى المجتمع الأسترالي، والشعوب الصديقة في العالم قاطبة.

كوكبة من المفكرين يحاضرون في مركز الملك فيصل

استضاف مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية مجموعة من المفكرين والسياسيين والأدباء ضمن النشاط الثقافي للمركز هذا العام (1431هـ/ 2010م).

فألقى الدكتور ألكسندر ستب - وزير الخارجية الفنلندي - محاضرة يوم الثلاثاء 3 صفر سنة 1431هـ الموافق 18 يناير/ كانون الثاني عام 2010م حول رؤية بلده لدور الاتحاد الأوروبي في ظلّ النظام العالمي الجديد، أكد فيها أن الحاجة إلى التعاون الأوروبي أصبحت اليوم أشدّ من أيّ وقت مضى؛ إذ يشير القرن الحادي والعشرين بتغييرات كبيرة على إثر صعود الأسواق الناشئة، والتحول بشكل أكبر إلى نظام متعدد الأقطاب، وقال: إن التغير المناخي، والتغير الديموغرافي، والصراعات السياسية حول العالم هي قضايا أشدّ ما تكون إلحاحاً، وإن التحديات الأساسية التي يواجهها الاتحاد الأوروبي لا تكمن ضمن حدوده، بل خارجها، وإن كثيراً من المشكلات العالمية تتطلب حداً من التضامن يوجب تحرّكاً أوروبياً مشتركاً. ورأى وزير الخارجية الفنلندي أنه على الاتحاد الأوروبي - كي يواجه هذه التحديات - أن ينتبه لثلاثة أمور: أولاً: من الضروري لأوروبا أن تحافظ على انفتاحها، وثانياً: يحتاج الاتحاد الأوروبي إلى مشروع اقتصادي تقدمي، أو توجّه اقتصادي جديد يمنح دوراً أكبر للتقنيات الصديقة للبيئة ذات الكفاءة في توليد الطاقة، ويشمل ذلك اتباع سياسة مشتركة للطاقة، وأخيراً: أن يعيد الاتحاد الأوروبي النظر في نظامه المالي: كيف يتم جمع المال؟ وفيم يتم إنفاقه؟.

كما ألقى الأديب المصري الدكتور يوسف زيدان - مدير مركز ومتحف المخطوطات بمكتبة الإسكندرية - محاضرة عامة بالمركز بعنوان: (التنوع العرفي والإنسان في التراث العربي)، حضرها حشد كبير

صدور عدد حافل من «الدراسات اللغوية»

اشتمل العدد الأخير من مجلة الدراسات اللغوية الفصلية المحكمة، التي تصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، على عدد من الموضوعات في مجالات النحو والصرف واللغويات، فكتب د. يحيى بن عبدالله بن حسن الشريف دراسة صرفية لغوية عن «شواذ التصغير»، بينما تناول د. بدر بن محمد ابن عباد الجابري «اعتراض آراء ابن مالك في الألفية والتسهيل وشرحه»، وأعد د. أحمد محمد الجيلي القسم الثاني من الفهارس الفنية لكتاب «التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح لأبي محمد عبدالله بن بري المصري»، وسلط د. فيصل بن علي بن عمار العماري الأضواء على «جوانب أخرى من التصحيف والتحريف»، وناقش د. عباس علي السوسوة «صعوبة الهمزة وتحول القاف همزة في المحكيّات العربية».

يُذكر أن رئيس تحرير هذه المجلة الفصلية هو د. تركي بن سهو العتيبي، ومدير التحرير هو د. سيف بن عبدالرحمن العريفي.

من المثقفين وأساتذة الجامعات. كما شارك د. زيدان خلال زيارته في لقاء مفتوح عُقد في المركز الثقافي حول رواية (عزازيل).

وقد عبّر الدكتور يوسف زيدان في ما نشره عن أسفه على كتابة مقال (ذكريات جزائرية)، الذي أثار حفيظة شريحة واسعة من المثقفين العرب والمهتمين بالتاريخ، الذين رأى بعضهم في المقال إجحافاً تاريخياً للنضال الجزائري، كما شكّل بالنسبة إليهم صدمةً على مستوى علاقتهم القوية بالشخصية الثقافية والأدبية لزيدان. وأكد زيدان وجود نزعة عاطفية عالية من الحمية تدفع إلى الرد السريع أحياناً من دون تفكير، وهو ما اختزله في عبارة (أنا صعيدي!).

يُذكر أن الأيام الأولى لمعرض القاهرة الدولي للكتاب الأخير شهدت نفاد الطبعتين الأولى والثانية من كتاب (اللاهوت العربي وأصول العنف الديني)، وهو آخر أعمال الدكتور زيدان الصادرة عن دار الشروق.

كما استضاف المركز الفكر العربي الدكتور أحمد شحلان في محاضرة بعنوان: (تأثير الأدب العربي على اليهود في الأندلس)، وذلك في مساء يوم الاثنين 8 ربيع الأول سنة 1431هـ الموافق 22 فبراير/ شباط عام 2010م.

والدكتور أحمد شحلان حاصل على دكتوراه الدولة في الفلسفة الإسلامية من جامعة محمد الخامس في عام 1991م، وقام بالتدريس في عدد من الجامعات العربية والأجنبية، كما شغل بعض المناصب الرسمية، منها إدارته مكتب تنسيق التعريب في الرباط.

إزالة صور للرسول صلى الله عليه وسلم من متحف أمريكي

أعلن متحف «متروبوليتان» للفنون في نيويورك عن إزالة عدد من الصور التي تظهر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بهدف إجراء مزيد من المراجعات الفكرية والدينية بعدما أثار عرض تلك الصور غضب شرائح واسعة من المسلمين في أمريكا.

وذكرت صحيفة «نيويورك بوست» أن إزالة الصور من مجموعة الصور الإسلامية الأخرى في المتحف تأتي بعدما عارض بعض المسلمين صور النبي صلى الله عليه وسلم.

ووفقاً لصحيفة «العرب» اللندنية، قال مصدر مسؤول في المتحف: إنه لجأ إلى إزالة الصور المثيرة للجدل بسبب سياسة الشركة التي تسعى إلى تفادي الانتقادات.

من جهته أكد المتحدث باسم المتحف إيغل زياس أن الصور أزيلت؛ لأنها لا تتلاءم مع الموضوع الحالي. ولدينا مساحة صغيرة جداً حالياً نعرض فيها مجموعة الفنون الإسلامية كلها.

تحقيق

ملــوك هــاواي

سمير أحمد عطا

القاهرة - مصر

أحد الحكام الأمريكيين مرتديًا زي ملوك هاواي

تـتـألّـف الـولايـات الـمـتـحـدة الأمـريـكـيـة مـن خمسين ولايـة، أصغرها هـاواي Hawaii، المعروفة باسم ولاية ألوها Aloha State[1]. وقـد سُمّيت بهذا الاسـم على عـادة الأمريكيين بإسباغ اسـم لكلّ ولايـة[2] يعبّر عن معنى من معاني تاريخها أو طبيعتها أو تقاليدها.

يُضاف إلى هذه الولايات الخمسين منطقة خاصة متميزة، هي العاصمة واشنطن، التي لا تقع في ولاية واشنطن. كما أن لها توابع Dependent Areas أغلبها في المحيط الهادي (الباسيفيكي)، ويبلغ تعدادها سبعة عشر إقليماً، يراوح نظام الحكم فيها بين الوصاية Trust ship، والإشراف (الإدارة) Directorate، والإقليم Territory، وغيرها من الأسماء التي تنتهي بكونها مستعمرات ومواطئ قدم أمريكية تنتشر فيها القواعد العسكرية وإدارات الاتصالات والملاحة البحرية والأرصاد الجوية. ولقد مرّت كلّ ولاية من الولايات الخمسين، والتوابع الحالية والسابقة التي حصلت على استقلالها، بظروف وحكايات راوحت أجواؤها بين الثورة والحرب والشراء من دول استعمارية أخـرى[3]. إلا أن حكاية هاواي، وكيف أصبحت الولاية رقم خمسين من الولايات المتحدة الأمريكية، هي حكاية متفردة في بابها؛ إذ انتهت الملكية في هاواي بقيام ثورة من نوع فريد ضد ملكتها ليليو كالاني Liliuokalani آخر ملوك هاواي، التي أجبرت على التنازل عن عرشها، وتعرّضت لأقصى أنواع المهانة والاعتقال والسجن، وتحوّلت بلادها من نظام الملكية Kingdom ship إلى الجمهورية Republican، ثم إلى نظام الإقليم المنضم Incorporated territory، ثم أخيراً نظام الولاية Statehood.

وقصة هـذه الملكة هـي قصة أقـلّ مـا يمكن أن تُـوصـف بـه أنها قصة غريبة فـي بابها؛ فلم يحدث فـي التاريخ أن تقوم حفنة مـن المغامرين ورجـال الأعـمـال الأجـانـب بـثـورة ضد حاكم الـدولـة وانـتـزاع عـرشـه. وليس مـن قبيل المصادفة أن يتجاهل كثير مـن المراجع الأمريكية مـا حـدث لهذه الملكة مـن إذلال ومهانة، أو تشير إليها استحياء، متجنبة التفاصيل التي حاقت بهذه الملكة بعد عزلها.

عندما يجول بخاطر المرء شيء عن هاواي يذهب به الذهن إلى نخيل جوز الهند النخيل، وراقصي الهولا Hola، وبيل هاربر Pearl Harbor، وشاطئ وايكيكي Waikiki. وعندما نتحدث عن هاواي فإننا نعني مجموعة الجزر التي تمتد هذا الامتداد الشاسع وتقع في وسط المحيط الباسيفيكي (الهادي)، وهو ما يجعلها أكبر جزيرة من هذه الجزر التي يبلغ عددها إحدى عشرة جزيرة، منها سبعة رئيسية. وقد أعطت الجزيرة الكبرى اسمها لهذه المجموعة من الجزر التي تمتلك كل منها في الوقت نفسه اسماً خاصاً بها. وهذه الجزر السبع هي: هاواي (الجزيرة الكبرى)، وكاواي Kauai، ولاناي Lanai، وماوي Maui، ومولوكاي Molokai، ونيهاو Nihau، وأواهو Oaho. ولا تقع العاصمة هونولولو Honolulu في الجزيرة الكبرى هاواي، وإنما في جزيرة أواهو. كما يقع في هذه الجزيرة أيضاً ميناء بيل هاربور، وشاطئ وايكيكي. ويعيش نصف مجموع سكان هاواي في العاصمة هونولولو. لذا أصبح من اللائق أننا عندما نقول هاواي فإننا نعني بها الجزيرة الصغرى الأهم، وهي «أواهو»، أو مجموعة الجزر عامةً.

وإلى جانب مجموعة الجزر يمتد أرخبيل على مدى 2400 كيلومتر من الشرق إلى الغرب وسط المحيط، يضم 114 من الشعاب والحواجز المرجانية Reefs & Atolls. وأقرب جزيرة من جزر هاواي إلى سان فرانسيسكو، وتقع على بعد 3840 كيلومتراً. وكل الجزر في ذلك الأرخبيل هي في الواقع قمم بركانية برزت من تحت الماء. وقد تشكلت أقدم الجزر الرئيسية منذ سبعين مليون سنة، وهي قمة جزيرة «كاواي».

والجزيرة الكبرى هاواي هي أحدثها، ومن ثم ما زالت تنمو بفعل الحمم؛ مما أدى إلى ظهور جزيرة صغيرة إلى جوارها، هي جزيرة «لو- إيهي Lo - ihi». وما زال بركان « موانا لوا Mauna Lao» يثور بين الحين والآخر، وفي يونيو عام 1950م ألقى أكبر كمية من الحمم في التاريخ. كما ثار بركان «كيلوإيكي» القريب منه عام 1959م، وبلغ ارتفاع حممه أكثر من 350 متراً. وعلى غير ما هو معروف عن البراكين فإن براكين هاواي لا تنفث غباراً طائراً كالذي ينتشر إلى مسافات بعيدة ثورانات

الهجرات الأولى إلى هاواي

أول من

ومعناها: الثورة، و«د مكفري»، ومعناها: اللكن مفا؛ للقيام بهذه المهمة ال منك مفاية، غي أنه وهو ف مبيل البحث عن هذا المر الائي و مل إل جزر هاواي واكن مفها، وكان الرأي ال مائد حي ذاك أنه ل نوجد أراٍ ش أو جزر و مط الحيط بعد ناهيتي أو قبلها. وما كاد جيم ش كوك يقتب من احا مل جزيرة «كاواي» حتى خرج له مكانها بقواربهم خ ميةً منه ومن زملائه؛ فقد ظنّوا أنهم قد هبطوا عليهم من ال مماء، ويركبون جزراً عائمة. وعندما نزل كوك إل ال ماطئ انحنوا أمامه بو مفه إلهاً جاءهم من أغوار الحيط، فقدّم إليهم كوك بع ش الرز والرايا والأدوات العدنية ال مغية ف م اولة لطمأنتهم، ومقابل نزويد مفينيته بالاء والطعام.

ا متأنف كوك رحلته، و مّمى هذه الزر التي و مل إليها جزر « مساندون ش»، على ا مم قائد القيادة البحرية البيطانية الأدميال مساندون ش. ووا مل كوك إبحاره بحثاً عن المر الائي على الرغم من و موله إل أق مى ال مال. ولا بدأ الليد ي مقاط، وهو ل يعث على المر، قرّر العودة إل تلك الزر الدافئة التي مرّ بها من قبل جزر هاواي.

كانت نمود ال زيرة ف ذلك الوقت أ مطورة عن ملك إله ا ممه لونو Lono قتل زوجته خطأً، فقرّر عقاب نف مه بالرحيل عن هذه الزر، والخنفاء ف أر ش ماوية نُ مّمى كاهيكي Kahiki. ون مي الأ مطورة إل أن هذا اللك الإله مو ف يعود يوماً ما بعد أن يكون قد ندم على فعلته، و موف يعود إليهم ف مو م م معّي ي مومونه ماكابايكي. ون مادف أن عاد كوك عام 1778م إل الزر التي اكت مفها ف الو م م نف مه، فظنّ الأهال أنه اللك الإله «لونو» قد عاد ثانيةً إل دياره، وتقاطر الآلف منهم ل مهادة لونو، والحتفال بعودته. وقد كتب كوك ف يومياته: «ف اللحظة نف مها التي قفزت

فيها إلى الماطئ الىنحط كلّ من رآن على الأر ش، أفرُ رتُ إليهم بالنهو ش. من أم حرروا عدداً من الزوار الىغيع ينقلديها هديةً ل، بينما أحدهم يتنّن بأغنية عنّيدية. فرأيتُ عندئذٍ أن أقدّم إليهم بع ش الهدايا أح برها من الىنينفيمي. كانت الأغنية أدعية للإلهة لكا Laka زوجة الملك الإله لونو.

وبعد أن بقيت الىنينفيمين عدة أيام لىبادل التجارة بين الأهال والبحارة من أدوات وأ حلم بي مماء، غادر كوك الىزر، غير أنه وُوجه بعا ممفة هوجاء ا طرّته إلى العودة إلى الىزر ثانيةً، وهو ما أثار ارتياب الأهال عن برّ تركانه، ف ملّ عن قيام م اجرات ومماحنات بين البحارة وبع ش الأهال. وكان بع ش الأهال قد طمعوا فيما تمله الىنينفيمين من هذه الأدوات العجيبة، فحاولوا الىبيلء عليها. وقد تطوّرت الماحنات إلى نام بينهم وبين البحارة أدّى إلى لوء البحارة إلى مفينتهم،

الرفيق ش وليم ماكينلي

وإطلاق مدافعهم على المهاجمين، في الوقت الذي كان كوك على الأر ش وافنين مع الأهال. وحينما أطلق البحارة نيرانهم حاول كوك الىري إلى الماحل لي مي إليهم بالوقوف، وظنّ الأهال أنه يحاول الهرب بعد أن ميقطت عنه هالة الألوهية، فطعنه أحدهم بدية معدنية في ظهره أودت بحياته، ولذت الىنينفيمين بالهرب.

كاميهاميها والأوربيون

كان من بين الأهال أحد الرؤماء الحاليين الذي مماه قوة الرجل الأبي ش، وما يملك من أ ملحة وأدوات، كما مماه النهاية الأليمة لرئي ش الرجال البي ش، وأدرك أنهم ب مر مثلهم. ولما كان رجلاً طموحاً فقد قرّر العمل على توحيد قوى الأهال في كلّ الىزر التي تحت إمرته، وتطوير حياتهم، بل جيع ن أولئك الرجال البي ش على تكرار زياراتهم؛ ليعرف مّر هذه البنادق الفتاكة وما يحملون من أ ملحة وأدوات. كان هذا الزعيم هو كاميهاميها. ومع ا متمراره في العمل على غزو بقية الىزر؛ ل متكمال توحيدها، عمل على تطوير أ ماليب الزراعة، وحدث في أثناء رحلة للمفينة الإنيليزية «إيرونلا» أن قتل بحّارتها بع ش الأهال، فهاجمهم الأهال وق موا عليهم، ولم يُنج منهم إلا اثنان، هما: مماحب المفينة جوهان يونج Johan young، والبحار إيزاك دافي ش Isaac Davis. وحين علم الملك بالأمر أ مبغ عليهما حمايته، وأعطاهما أر ماً لزراعتها، وأ مبحا من أخل ش أ مدقاء الملك. ولكي يربطهما الملك بهاواي زوّجهما من فتاتين منها، وأ مبح يونج م ماعداً كبيراً للملك في عمله في الدائب على توحيد الىزر. وعند وفاة يونج ترك حفيدةً له، ا مهما إما Emma، قُدّر لها أن تكون زوجةً للملك من أ مرة كاميهاميها. كما أ مبح دافي ش زعيماً كبيراً، وأ ما أ مرةً ذات نفوذ.

لم يقت مر الأمر على زيارات المفن الإنيليزية فقط، بل بدأت الرحلات الفرن مية برحلة قام بها الرحالة الفرن مي لي برو ش Le bross. وفي عام 1782م، وهو العام الذي تولّى فيه جورج وا منطن رئا مة الولايات المتحدة الأمريكية، و ملت أول مفينة أمريكية إلى هاواي بينما كانت تقوم برحلة حول العالم، وكان ا مم المفينة كولومبيا ردفيفا Columbia Redviva. وقد جاءت الرحلات الأمريكية متأخرةً قليلاً عن الرحلات الإنيليزية والفرن مية؛

العدد 405 - 406 / المرمضان 1431 هـ

كاماهيماهيا إل ذلك، وتعلّم صرّ منوارات التجارة، وأ صبح بارعاً ف التعامل مع الأوروبيي؛ قام ب صراء صفينة كبية لي صراك ف العمليات التجارية مع عب ش تار وب صطن الأمريكيي والتجار ال صينيي. مث عمل بعد ذلك على زيادة أعداد القوارب وال صفن ف هاواي؛ حتى بلغ عدد صفن أ صطوله 40 صفينة.

وبازدياد عمليات التجارة ازدادت ثروة التجار، خ صو صاً القيمي ف هاواي، وتملّكوا أجزاء من الأرا صي التي يتملكها الملك لزراعة ق صب ال صكر والأناناس، وهما م صولين أدّيا دوراً كبياً ومهماً ف تاريخ هاواي. وأ صبحت هاواي بالتدريج أهم مركز تمّ تجاري لل صفن ف هذه المنطقة من المحيط؛ حتى كان الرفأ الواحد يمكن أن ي صتوعب 40 صفينة ف وقت واحد. وعندما فطن الرئي ش الأمريكي «مونرو» إل خطر هذه الجزر وأهميتها أر صل مندوباً تجارياً ليقيم برف أهونولولو للإ صراف على

الرئي ش أبراهام لينكون

[redacted]

الملكة إما

الرئي ش جيم ش مونرو

كانت كاهو مانو لا تميل إلى النشاط التبشيري المسيحي، وتحذّر رعاياها منه. وأدّى ضغط المبشّرين إلى أن أصبحت هي نفسها من الداعين إلى المسيحية

ل صالح الأمريكيي ب صورتهم ما صد الإنجليز؛ صعياً إل ال صتقلال.
تعدّدت الرحلت الأجنبية إل جزر هاواي وهي ف طريقها إل ال صي، فكانت ال صفن تلجأ إل مرافئ هاواي، ويقدمون إل ملكها ال صامي والأزاميل التي صاعدت على تطوير صناعة القوارب لدى الأهال، كما جرى تبادل التجارة ف الأقم صة الملونة وال بكوي صت، ويأخذون ف مقابلها ما يحتاجون إليه من خنازير وأغذية. كما صملت التجارة تبادل جلد كلب البحر بقطع من النحا ش ل يزيد ثمنها على دولر، ثم يبيعون هذه الجلود ف ال صي، أو يقايا صونها ب صعر خم صي دولراً. كما بدأت صفن صيد الحيتان تجتمع ف مرافئ هاواي للإ صلح، وتنج من هذا النظام أن ف صل عب ش البحارة البي ش البقاء والعي ش ف هذه الأمكنة، التي يكن أن تكون م صدراً للثوات. وبدأ الملكان أنف صهم م صاركهم ف أن صطنهم، خ صو صاً بعد أن ظهر أن هذه ال صفن ترب ح كثياً. وعندما فطن

مصالح التجارة الأمريكية من كثب منافساً للنشاط الإنجليزي والفرنسي ثم الياباني والروسي بعد ذلك.

وفي عام 1819م مات كاميهاميها الأول، وخلفه ابنه ليهوليهو Lihiulihu، الذي سمّى نفسه كاميهاميها الثاني، تحت وصاية أمه الملكة «كاهو مانو» ذات الشخصية القوية(4).

وصول المبشّرين والتحوّل إلى المسيحية

مع بداية عهد كاميهاميها الثاني بدأ وصول المبشّرين عام 1820م، وكان هذا العام علامةً فارقةً في تاريخ هاواي؛ إذ كان كاميهاميها الثاني قد تخلّى عن عقائده الدينية التقليدية، وأبطل الحرمات القديمة، وأصبح الطريق ممهّداً لوصول المسيحية على يد البروتستانت، وبنيت في عهده أول كنيسة في هونولولو عام 1821م.

جاء المبشّرون من أمريكا وإنجلترا، وشهدت العشرين عاماً التالية مجيء غيرهم من المبشّرين الكاثوليك، ثم جماعات المورمون. كما بدأت الهجرات الصينية واليابانية إلى هاواي؛ للاستعانة بهم في التوسّعات الزراعية والصناعية، خصوصاً صناعة السكر وغيرها. وجاء الصينيون واليابانيون بأديانهم ومعتقداتهم وتقاليدهم، فضلاً عن العمال من البرتغال وأمريكا اللاتينية وكوريا والفلبين؛ مما جعل التركيبة السكانية في هاواي تتحوّل تحوّلاً كبيراً، خصوصاً بعد تناقص عدد السكان الأصليين إلى حدّ كبير؛ لانتشار أوبئة الرجل الأبيض وأمراضه التي فتكت بكثيرين منهم. وفي أقلّ من قرن وصل عدد السكان الأصليين إلى خمسين ألفاً بعد أن كانوا ثلاثمئة ألف أواخر القرن الثامن عشر. وازداد هذا التناقص في العصر الحاضر؛ حتى لم تعُدْ نسبة العنصر الهاواوي الأصلي تزيد على اثنين في المئة من مجموع السكان، وأصبح المجتمع الهاواوي مجتمعاً متعدّد الأجناس والديانات، تحرّكه وتسيطر عليه أصحاب المصالح الأجانب، وأغلبهم رجال الأعمال من المستوطنين الأمريكيين.

> تشكّل حزب اسمه حزب الإصلاح معارضاً ومنتقداً سياسة الملكة، بل تحوّل إلى الهجوم الشخصي عليها، وادّعى أنها تشجّع تجارة الأفيون

خلفاء كاميهاميها والمطامع الغربية

منذ أن تولّى كاميهاميها الثاني بدت ميوله الشخصية مع الإنجليز أكثر من الأمريكيين. وفي نهاية عام 1823م قرّر زيارة إنجلترا لمقابلة الملك جورج الرابع؛ إما تعبيراً عن ميوله الشخصية، وإما لعقد اتفاقات تبادلية تجعل للإنجليز يداً كبرى في عمليات التوسّعات الزراعية والصناعية والتجارية، وإن كانت المصادر لم تفصح تماماً عن سرّ هذه الزيارة والهدف منها. ثم حدث ما لم يكن في الحسبان؛ إذ تعرّض الملك وكلّ الوفد المرافق له لمرض الحصبة الذي أودى بحياتهم جميعاً بعد أسابيع قليلة من وصولهم إلى لندن.

وفي الأعوام التالية لوحظ ازدياد نشاط الممثّل التجاري الأمريكي في الإشراف على مصالح رجال الأعمال الأمريكيين، فضلاً عن النشاط الرسمي الذي يقوم به القنصل الأمريكي جون ستيفنس John Stevens، الذي عُيّن ممثّلاً رسمياً لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية، وأدى دوراً كبيراً في السنوات اللاحقة في تاريخ هاواي.

وكان ليهوليهو (كاميهاميها الثاني) قبل مغادرته هونولولو إلى لندن قد سمّى شقيقه البالغ من العمر 9 سنوات ليكون وليّاً للعهد، ومن ثمّ يصبح ملكاً بوصاية أمه الملكة كاهو مانو Kaahumanuu أرملة كاميهاميها الأول. لكن وليّ العهد مات بدوره قبل وفاة كاميهاميها الثاني في لندن بأيام. وبموت كاميهاميها الثاني وولي عهده تحوّل الحكم للشقيق الأصغر، الذي سمّى نفسه كاميهاميها الثالث، وإن أصبح زمام الملك في يد الملكة كاهو مانو.

كانت كاهو مانو لا تميل إلى النشاط التبشيري المسيحي، وتحذّر رعاياها منه. إلا أنها سرعان ما تعرّضت لضغوط كثيرة من المبشّرين، الذين بلغ نفوذهم الحدّ الذي بدأ «الأجانب البيض» يضيقون ذرعاً بهم؛ فقد أصبحوا يتمتعون بكثير من المزايا، بل أدّى ضغط المبشّرين على الملكة إلى أن أصبحت هي نفسها من الدعاة إلى المسيحية والتبشير بها. وربما استطاعت كاهو مانو عمل توازن بين مصالح المبشّرين من جهة ورجال الأعمال من جهة أخرى، فضلاً عن تزايد معدل الاستثمارات

والحاكورات الزراعية والصناعية والتجارية، وهو ما ساعد على أن تكون حقبة كاميهاميها الثالث هي أطول مدة حكم لأحد من أسرة كاميهاميها الأول، ويبدو ذلك واضحاً من إصداره إلى وضع دستور عام 1840م، الذي أصبح بمقتضاه ملكاً تشريعياً يكون له النفوذ الأعلى في الحكم، كما تنازل بموجب هذا الدستور عن حقه في الانفراد بملكية كلّ الأراضي؛ مما أتاح حريةً كبيرة لرجال الأعمال والمبشرين لزيادة قوتهم وثرواتهم، وتوسّع الأمريكيون في الشراء المباشر للأراضي بعرض أسعار مغرية، أو وفاءً لديون على الوطني. وبذلك، ومنذ هذا التاريخ، أصبحت الجالية الأمريكية أقوى الجاليات في هاواي.

لكن ذلك أثار كاميهاميها الثالث آخر الأمر عندما رأى بلده كأنها في الطريق إلى أن تفقد استقلالها، فأعلن أن القوانين التي تطبّق على السكان الأصليين لا بد أن تطبّق أيضاً على الأجانب، وأرسل بعثة إلى واشنطن بطلب من الرئيس الأمريكي بصدور اعتراف مباشر باستقلال هاواي دولةً حرّةً تمنع ما يشاء من قوى التحالف الدولية، لكنّ كلّاً من الرئيس الأمريكي ووزير خارجيته تجاهل هذا الطلب، فهدد الملك بالالتجاء إلى لندن لطلب مساعدة الإنجليز، فعاد الرئيس الأمريكي ووجّه إنذاراً قوياً في الكونجرس يحذّر فيه أيّ دولة من التدخّل في شؤون مملكة هاواي. لكنه في الوقت نفسه بدا واضحاً أن هناك خطراً من تزايد قوة رجال الدين البروتستانت، الذين كانوا يعينون الملوك، على حساب الكاثوليك، ويوقفونهم في مناصبهم وامتيازاتهم، فكتب القنصل الفرنسي في هاواي إلى حكومته منذراً أنها إذا لم تتدخل فإن البروتستانت سوف يكتسحون كل نفوذ في الجزيرة (مجموعة الجزر)؛ مما يهدّد النشاط الكاثوليكي. ونتيجة لذلك قامت السفينة الفرنسية «لارتيميز» بحصار ميناء هونولولو، وأنذرت بإطلاق النار على المدينة إذا لم تترك البروتستانت المسيحيين الكاثوليك يزاولون مناصبهم من دون التعرّض لهم،

لما مات ألكسندر وابنه الوحيد من «أمّا» تولّى العرش الملك لوت toL، الذي سمّى نفسه كاميهاميها الخامس، وتزوجت ليديا بـ «جون»

حدائق ليليوكالاني

وعندما قُرئ تقرير بلونت أعلن الرئيس كليفلاند أن هناك خطأً شنيعاً ألمّ بالملكة ليليو كالاني، وأن رجال الأعمال الأمريكيين ليس لهم الحق في السيطرة على الحكم

وأرسلت فرنسا «مَن يهدّد هاواي، ويحذّرها من غضبها»، وبدا كأنها تحاول أن تبحث عن ذريعة للتدخّل العسكري، كما كانت تفعل مع غيرها من الجزر في المحيط الباسيفيكي.

وإزاء هذا الموقف المعقّد، الذي يُنذر بمجابهة بين القوى الاستعمارية الكبرى، آثرت هذه الدول أن تتوقف عن أطماعها على الصعيد الدولي فيما يتعلق بهذه الجزر، وتحصره داخل هاواي نفسها؛ بوصفه نوعاً من التنافس الاقتصادي، ووقّعت كلٌّ من بريطانيا وفرنسا وثيقةً اتفقتا فيها على الاستقلال لهاواي، وحذت الولايات المتحدة الأمريكية حذوهما؛ مما عُدّ نصراً سياسياً لها، وأتاح فرصةً كبرى للأمريكيين لشغل أهم وظائف الدولة، بل خلع بعض رجال الدين البروتستانت أرديتهم الدينية وانخرطوا في المسائل السياسية. ووجد المبشّرون وملّاك الأراضي أن من مصلحتهم ألّا يأمنوا لأيّ موقف أوروبي قد ينقض شيئاً من امتيازاتهم وسلطانهم. ومع الضعف السائد في الحكم الملكي قاموا عام 1835م بتشكيل لجنة من 13 عضواً، كان من أهم أهدافها العمل على ضمّ هاواي إلى الولايات المتحدة الأمريكية؛ لتكون الولاية رقم 32 في ذلك الوقت، وفي ذلك ضمان لاستمرار سيطرتهم وامتيازاتهم. وكان من مهامّ هذه اللجنة الإعداد للقيام بثورة لتحقيق ذلك إذا لزم الأمر، أو إعلان البلد جمهوريةً.

وجاءت ليليو كالاني

في ظلّ هذه الظروف وُلدت طفلة في عام 1838م قُدّر لها أن تكون بعد ذلك الملكة ليليوكالاني Liliukalani. ووفقاً للعادة السائدة فقد سلّمها أبواها كاباآكي Kapakee، وهو من أقرباء كاميهاميها الكبير، إلى أسرة صديقة له، اسمه «باكي Paki»، وزوجته كونيا Konia، وهي حفيدة كاميهاميها الكبير؛ لرعايتها وتنشئتها.

لم يكن لدى باكي وكونيا إلا ابنة في السابعة من عمرها، اسمها برنيس Bernice، وكانا متعطشين إلى تنشئة طفلة أخرى في ظلّ هذه العادة لكي تكونا صديقتين. ومن ثَمّ كانت الطفلة الوليدة تنتسب إلى الأسرة الحاكمة بالميلاد والتبنّي أيضاً. وربما كان هذا النظام من نظم التبنّي أو التنشئة قد ساد في هذا المجتمع لما يحمل من معنى أن ذلك يساعد على مزيد من التقارب

بي العائلات، وي عاء أي مًا على أن يبدو الواطنون كأنهم أ سرة واحدة. لكن هذه الطفلة الوليدة هي البنة الوحيدة لوالديها، وإن كان لهما ع شرة أبناء، أكبرهم دافيد David، الذي أ صبح فيما بعد ملكًا با سم كالاكاوا Kalakua. ولا كان تبني من كان مألوفًا في هاواي قد اعتقوا ال سيحية، وعادةً يعطون الطفل ا سمًا أجنبيًا؛ إنليزيًا في الأغلب، فقد سُمّيت الطفلة با سم ليديا Lydia. والتحقت ليديا بالدر سة اللكية حيث تلقّت درو سها الأول على يد مدر سة خا صة من أع ضاء إحدى الإر ساليات التب شيرية الأمريكية، وعُرف عنها منذ صغرها حبها الو سيقا والألحان الكن سية.

وقبل وفاة كاميهاميها الثالث عام 1854م كان قد سمّى ابن أخيه أليك سندر Alexander وارثًا لعر شه؛ إذ لم ينجب أبناء، وتسمّى اللك الديد أليك سندر با سم كاميهاميها الرابع، وبدأ عهده بالزواج بـ«إمّا» ابنة جوهان يونغ الإنليزي. ولم يكن أليك سندر يميل إلى الأمريكيين؛ إذ عُومل في أثناء رحلة له إلى الوليات التحدة الأمريكية كزنجي؛ ب سبب لونه الأ سود؛ لذا قام برحلة تثقيفية إلى أوربا، عاد بعدها بأفكار أراد أن يطبّقها في مملكته.

كانت ليديا صديقةً لـ«إمّا»، ورافقتها كثيرًا في تنقلتها، من تعرّفت إلى شاب أمريكي ا سمه جون دومينيس John Dominis. وحين بلغت الثانية والع شرين تمّت خطبتها له، وهو أمر لم يجد ترحيبًا كبيرًا من الأ سرة الالكة؛ لأن جون دومينيس لي س مواطنًا من هذه الأ سرة، ولم حتى مواطنًا عاديًا، ومن المكن أن ن صبح ليديا ملكةً على هاواي. وكانت ليديا تدرك هذا الأمر، فأجّلت زواجها عدة سنين.

ولا مات أليك سندر وابنه الوحيد من «إمّا» تولّى العر ش اللك لوت Lot، الذي سمّي فيما بعد كاميهاميها الخام س، وتزوجت ليديا بـ«جون»، وانتقلت إلى الإقامة معه في ق صر عائلته الفخم، وي سمّونه «ق صر وا شنطن». وقام «لوت» بتعيين «جون الأمريكي» (زوج ليديا) وزيرًا في حكومته؛ بدعوى أنه في حاجة إلى م ست شار يعبّر عن وجهة النظر الأمريكية. وبعد مدة عيّنه حاكمًا على جزيرة «أواهو»، التي فيها العا صمة هونولولو. وكانت ليديا دائمًا ت صحب زوجها جون دومينيس في جولته التفقدية لأحوال الواطنين؛ ما جعلها محلّ حب وتقدير منهم. ولأن اللك «لوت» كان يعرف موهبة ليديا الو سيقية فقد طلب منها أن تؤلف لنا قوميًا لملكته. وخلل أ سبوع واحد و ضعت ليديا أول لن قومي

للبلد، وكان ذلك في عام 1867م، وعزفته أول مرة في الكني سة الرئي سية بالعا صمة. وعندما وجدت أن هناك صدى عظيمًا لهذا اللحن قامت بتأليف أغنية «ألوها أوي Aloha - oe» وتلحينها، ومعناها «وداعًا Farwell To Thee»، وا ستمرت هذه الأغنية حتى أ صبحت كأنها رمز تنفرد به هاواي.

ليليو كالاني وعرش هاواي

لم يكن اللك لوت (كاميهاميها الخام س) قد تزوّج، ومن ثَمّ فإنه لم يكن له وريث عند موته عام 1872م. وبذلك انقطعت سللة كاميهاميها من الذكور. وكان على البع ض أن يختار خليفةً للملك، وتنافس مر شحان على ذلك، ففاز بالن صب لونا ليو Lona Lio، الذي بدأ حكمه بتغيير الد ستور. وأهم ما جاء في الد ستور الديد هو إعطاء حق النتخاب إلى كلّ القيمين على الأر ض الهاواوية، بعد أن كان قا صرًا على أ صحاب الأملك؛ مما كان يجعل ال سيطرة على الدولة ب سهولة في أيدي كبار الأمريكيين ال سيطرين عليها. ويبدو أن هذا النظام جعل ال سيطرة على م صالح الأمريكيين تعتمد على ما ي صل إليه الأ صدقاء من تع صب الأمريكيين الذين ي صحبون ال صوت بالنتخاب ... وعندما تولّى ... بأنه ع صر «لونا ليو»، الذي ... مرحلة بعد حكمه أ ستمر عامًا واحدًا، وقيل: عدة أ سهر فقط. وأجريت انتخابات أخرى ... ، كان مر شحًا لها دافيد كالاكاوا David Kalaqaua أخو ليديا وإمّا أرملة كاميهاميها الرابع. ولا كان معروفًا عن «إمّا» ميولها الإنليزية فقد ... صوّت الأمريكيون ل صالح كالاكاوا. وكان من أول القرارات التي اتّخذها تعيين «ليديا» وليةً للعهد، وعُرفت منذ يومئذ با سم الأميرة «ليليو كالاني». كما عيّن زوجها «دومينيس» الأمريكي حاكمًا على «كواي» و«ماوي»، إ ضافةً إلى جزيرة «هاواي». وكذلك وافق كالاكاوا على منح الوليات التحدة الأمريكية الحق في إدارة ميناء «بيرل هاربور» وتجهيزه بما يلزم ليكون قاعدة بحرية لها. وفي مقابل ذلك ح صل على احتكار بيع ال سكر في سوق الوليات التحدة الأمريكية.

وكان كالاكاوا قد اعتزم القيام برحلة حول العالم؛ تن شيطًا لعلقات هاواي الارجية، وترك أخته «ليليو كالاني» تدير شؤون البلد بو صفها وليةً للعهد. وقد ت سمّت رحلته زيارات

لعدد من البلدان، منها: اليابان، والصين، وماليزيا، (تايلند)، والهند، ومصر، وأمريكا. وقد أتاح غياب الكلام عن هواية فرصة

آ ű . ٔ ű اب كَ ل دري

العددان 405 - 406 / رمضان 1431 هـ

أ هر فقط من تولّيها الحكم. ومع أنه كان لها بع ش الأ دقاء الخل ي من الأمريكيين كانت تدرك أن الأكثرية يريدون عزلها، ويبغون الو ع ال يا ي ف الزر با يحقّق رغبتهم ف أن ت بح هاواي جزءاً من الولايات المتحدة الأمريكية؛ م انًا ل تقرار احتكاراتهم، والوقوف د أي أطماع أوروبية أخرى. وكانت الملكة م مّمة على ألّا يحدث ذلك، و دّ من عزيمتها تلقّيها يل من ر ائل الواطني يطالبون فيها بتعديل الد تور بإ افة بنود ت من حقوقهم ال يا ية والجتماعية والإدارية ف مواجهة امتيازات أ حاب الأملاك ورجال الأعمال، فوعدت بذلك.

وف باح يوم 14 يناير عام 1893م طلبت من م ت اريها التوقيع على الد تور الجديد، لكنهم رف وا ذلك؛ ل تيهم من ترهيا د رجال الأعمال الذين أعلنوا رف هم أيّ تعديل يُ ّ م الهم، أو يعطي مزيداً من الحقوق للمواطنين بما يؤثّر ف أعمالهم، ف عرت الملكة بأنها وقعت ف مأزق، فأعلنت إرجاء النظر ف أمر التعديلات الد تورية إل وقت آخر.

ف ذلك الوقت كان قد ت كّل حزب ا مه حزب الإ لح معار اً ومنتقداً يا ة الملكة، وهو غير م موعة الثلثة ع ر ال ابقة، لكنه يتبنّى أفكارها. ولم يكتفِ الحزب بذلك، بل توّل إل الهجوم ال خ ي على الملكة، وبدأ بتوجيه التهامات لها، وادّعى أنها ت جّع تجارة الأفيون، وأنها كانت وراء ت جيع عمل يا ي ب عام أول مرة تذهب ح يلته إل جيبها الخا ، وهو ما أدى إل قيام أن ارها بتظاهرات ا تنكرتها ال وم ل حلتهم بطريقة »النفخ ف النار«، ف كّلوا لنة عامة يقودها ابن أحد الب ّرين، ا مه انفورد دول Sanford Bailard Dole، الذي ت ّح أنه كان زعيم حزب الإ لح. ومع ا تمرار التظاهرات ت ّل »دول« بالمّثل الأمريكي ف هاواي، وطلب منه إنزال قوات ع كرية إل ال وارع بدعوى حفظ النظام، كما قام أن ارها بحا رة الملكة ف ق رها، وتطوّر الأمر إل حدّ إطلق فينة أمريكية را ية ف الميناء قذائفها على المدينة (هونولولو)، فأ يب كثي من الأهال بجروح عمليات القذف، ونُ دى الدون الذين هبطوا إل ال وارع للمتظاهرين.

ا تمرت الفو ى ثلثة أيام، ومع ا تمرار ال م ا رة الملكة ل تتد مفراً من توقيع وثيقة التنازل عن العر ش ف 17/1/1893م؛ إذ ل تتد أمامها حلً آخر للحفاظ على دماء أبناء عبها. وبعد

في ٨ فبراير عام ١٨٩٥م تمّ تشكيل لجنة تحقيق لمحاكمة الملكة، متهمين إيّاها بالخيانة. وفي ٢٧ فبراير صدر الحكم بإدانتها كأي مجرم عادي، مع الحكم بدفع غرامة وخمس سنوات أشغال شاقة

جزر هاواي

هاواي ولاية أمريكية على كل أرخبيل من الزر ف الحيط الهادي، تبلغ م احتها 166،642 كم، وتتكون هاواي من 19 جزيرة رئي ة، وهونولولو هي العا مة وأكب المدن.

وهي آخر الولايات التي ان مت إل التحاد الأمريكي، وتتل آخر حد ف النوب الأمريكي، فهي الولاية الوحيدة التي تقع بالكامل ف المناطق ال توائية.

ومن خ ائ ها الميزة أنها الولاية الوحيدة التي لي ش لها أرا ش تابعة لأي قارة، وهي الوحيدة التي تزداد م احتها با تمرار ب ب الن اط البركان. وتتدفق الحمم البركانية، خ و اً ف جزيرة كيلو Kīlauea، كما أنها الولاية الوحيدة التي ل توجد فيها أغلبية من البي ش، وفيها ن بة عالية من الأمريكيين الآ يويي.

وهاواي واحدة من الولايتين اللتي تقعان خارج النوا ل الغراف للولايات المتحدة مع أل كا.

وتعد هاواي ع مة الأنواع المهددة بالنقرا ش ف العال، وهي المكان الوحيد الذي تمثل فيه ناعة القهوة جزءاً من الإنتاج ال ناعي، ومن أهم منتجاتها الزراعية: الأناناش والموز وق ب ال كر وجوز الهند.

اكت فها الكابتن جيم ش كوك ف عام 1778م ، وظلت تابعة للتاج البيطان مدة طويلة، وكانت ف تلك المدة تت حكم 4 ملوك م تقلي، وا طاعت الملكة ليليوكالني توحيدها ف مملكة واحدة.

ش عب« ماىق نم ياواه ف ثدحي ام ءاّرج نم مد.

ح ʌ ŋ ʊ

حḤا ɵ وJا ثدٓ امǚ اً ا ٦ ٨

Ω̣̈

أوراق ر ممية أو خا مة. وبعد عدة أيام طُلب من المالكة أن توقّع وثيقة تن ّش فيها على أنه ل يُعد لها أية حقوق ف العر ش. وقالت المالكة ف مذكراتها: «إنني بذلتُ كل جهدي ف الكم طوال عامي واجهت فيهما كثيراً من العوا مف، ولكنني معرتُ أخيراً بأنني ل أ مطيع ال مرار ف ابه همم أكث من ذلك، وقد ماعدن على التوقيع على هذه الوثيقة معرفتي بأنها ال مبيل الوحيد لإطلاق مراح أن ماري والخل مي ل، الذين زُجّ بهم ف ال مجن».

نهاية ليليو كالاني

ف 8 فباير عام 1895م تّ ن مكيل لنة تقيق لحاكمة المالكة، متهمي إيّاها بالينانة العظمى؛ لأنها كانت تريد ا متعادة العمل بالد متور القدي. ودافعت المالكة عن نف مها بأنها ل تكن تعلم إل ما يُطالب به أبناء ال معب وير مها. وف 27 فباير مدر الكم بإدانتها كأي م رم عادي، مع الكم بدفع غرامة وخم ش منوات أ مغال ماقة. وإن كان الكم ل يُنفّذ بالكامل، لكنها أم مت تمانية أ مهر ف ق مر «إيولن»، الذي ت نقلها إليه، وعدّ محناً مؤقتاً لها، كما ق مت تلنة ع مر مهراً أخرى ف محن عادي.

وخلل أ مهر ال محن ل يكن ي ممح لها بتلقّي ال محف أو أيّ كتب للقراءة، وإن ممحوا بإمدادها بورق وأقلم لتكتب ما تريد، وهو ما ا متغلّته ف كتابة عدة ألان مو ميقية من الذاكرة؛ إذ ل يكن ف ال محن بيانو تُتار ش عليه اللحن، وقد قُدّر لهذه الألان أن تنت مر ف كل الوليات التحدة الأمريكية، وأ مبح لن ألوها أوي Aloha oe، ومعناها وداعاً لك Farwell to Thee، على كل ل مان، ومازال جزءاً من التاث الهاواوي حتى اليوم.

وكان أ مدقاء المالكة ير ملون إليها بي الي والآخر الورد والفطائر وأطباق اللوى بعد أن يفح موها الرا ش ويقرؤون كل ما تر مله أو ت متقبله. وأ مبحت قراءة أوراق ال محف التي يلّفون بها باقات الورود هي ت مليتها الوحيدة إل جانب ما ت مطّر من الألان.

وبعد تمانية أ مهر أخرى مح للمالكة بالعودة إل «ق مر وا ممطن»، ول يُطلق مراحها كاملً إل ف أكتوبر عام 1896م. كما ح ملت على عفو عام، و ممح لها أن تذهب إل أي مكان تريد، فقرّرت أن تكون الوليات التحدة الأمريكية هي مق مدها الأول. توجّهت إل بو مطن حيث رحّبت بها أ مرة زوجها التوفّى، ثم رحلت إل وا ممطن وزارت الرئي ش كليفلند، وقدمت له عرائ ش الآلف من مواطنيها يطالبون فيها با متقلل هاواي وعودة الملكية. ولكن كليفلند ت ن ّم من ال متجابة لها بدعوى أنه ل يبقَ على مدة وليته إل عدة أ مهر من يأتي رئي ش جديد منتخب هو وليام ماكينلي William Mckinley.

ل تن أ ش المالكة فقرّرت البقاء ف وا ممطن؛ لعلها تقابل الرئي ش الديد، إل أنه خيّب ظنها، بل ذهب إل أكث من ذلك، وأر مل مي غة معاهدة بي الوليات التحدة الأمريكية وحكومة جمهورية هاواي ب مم هاواي إل الوليات التحدة الأمريكية، طالباً مناق متها والوافقة عليها. تّ ذلك من دون أن يقابل المالكة ليعرف رأيها، أو حتى تناق مه ف الأمر. وعندما ل تتمكّن المالكة من مقابلته أر ملت إليه عري مة احتجاج، م مر مخةً فيها مراعاة ما حدث لها ولبلدها، كما تقدمت بعري مة أخرى إل الكونر ش ترجو فيها أل يوافق على توقيع مثل هذه العاهدة التي ت متبعد دورها كأنها ل تكن ملكة على الزر، ول تنظر إل حكومة المهورية بو مفها حكومة مغت مبة وغي قانونية أو م مرعة. لكن الرئي ش والجل ش ل يعيا اهتماماً، وتّ توقيع العاهدة، وإعلن هاواي جزءاً من الوليات التحدة الأمريكية ب مي غة «الإقليم الن ممIncorporated Territory»، مع تعيي «دول» حاكماً لهذا الإقليم. وبذلك انته مفة المهورية عن هاواي.

كانت الرب الأمريكية الإ مبانية التي ن مبت ف ذلك الوقت حول الفلبي قد أو محت بجلء مدى أهمية الزر للوليات التحدة الأمريكية إ متاتيجياً وع مكرياً، ف مضلً عن ال مالح القت مادية التي يديرها رجال الأعمال الأمريكيون؛ إذ كان لفنئ موانئ هاواي لل م اعدة ف العمليات اللوج مية(5) والع مكرية أثر كبي ف م مار الرب. ول يكن ذلك ف نظر ال ملطة الأمريكية يتوازى مع م ر د رغبة تبديها المالكة. وهكذا أُنزل علم جمهورية هاواي من على البان الر ممية، وارتفع عليها العلم الأمريكي، مع عزف اللحن القومي لهاواي Hawaii Ponai. ول يكن هذا ال مم بطبيعة

تعلّم اللغات المحلية والأجنبية، بما فيها لغة الأم، ينبني على أربعة أسس هي: الاستماع، والمحادثة، والقراءة، والكتابة

الانتقال إلى خطوة الوصول بهاواي عام 1959م إلى صيغة «الولاية State hood» الكاملة العضوية ضمن سائر الولايات المتحدة الأمريكية، بعد ما عانت من خضوع، وهذه قصة أخرى استمرت فصولها طوال نصف قرن من عام 1898م حتى عام 1959م.

إزاء هذا الموقف الأمريكي الواضح أدركت ليليوكالاني أنها لن تستطيع أن تعيد التيار إلى الوراء، فعادت إلى هاواي مقيمةً في «قصر واشنطن»، وقد أخذت على نفسها أن تعيش في صمت، ونتصل في تأليف ألحانها، كما قامت بتبنّي طفلين حتى يعيشا في جو أسري. لكن ذلك لم يحرمها من وجهها المميز الحزين طوال حياتها. وفي 11/11/1917م دقّت أجراس الكنائس تعلن موت ليليوكالاني - آخر ملوك هاواي - عن عمر 79 عاماً. كان يوم وفاتها هو النهاية الفعلية لعصر الملكية في هاواي. تم دفن جثمانها في المقبرة الملكية خارج هونولولو، وأفراد شعبها، أو ما تبقى منهم، يحوّلون لحنها ومعه يرددون «ألوها أوإي» «Farwell to Thee».

الهوامش والمراجع

1- «ألوها Aloha»: كلمة بولينيزية تعبّر عن التحية أو الوداع طبقاً للظروف ولكن الكلمة عند التفوّه بها، وأهل هاواي يستقبلون بها كل زائر إلى بلدهم وفيها يعني «مرحباً»، كما يقولونها عند الفراق بمعنى «وداعاً».

2- من أسمائها: فلوريدا «ولاية الشمس المشرقة Sunshine state»، وكاليفورنيا «الولاية الذهبية Golden state»، وإلينوي «ولاية البراري Prairie state»، وكانت تسمى «ولاية زهرة الشمس Sunshine state».

3- اشترت الولايات المتحدة الأمريكية لويزيانا من فرنسا عام 1803م، وألاسكا من روسيا عام 1867م، كما تم ... وكاليفورنيا وقبل ... نيو مكسيك وبين المكسيك عام 1867م.

4- زوجة أخرى لكاميهاميها الأول.

5- فرع من العمليات الحربية مهمته الإمدادات التموينية ومهام الإدارة.

- «أمريكا»، نشر: مكتب الولايات المتحدة الأمريكية للمعلومات، القاهرة، عام 1944م.

- موجز التاريخ الأمريكي، فرانسيس فريدمان، نشر: وزارة الخارجية الأمريكية، قسم الصحافة الدولية والنشر.

- موسوعة المعرفة، نشر: دار الأهرام، القاهرة.

- مجلة الفصول، أكتوبر عام 1945م، القاهرة.

- هاواي جنة الباسيفيك، تشارلز أبريدون، ترجمة: عمر أبو النصر، من منشورات المكتبة الأهلية - بيروت.

- The world Almanac 1998.
- The world Fact Book: Center Intelligence Agency C.I.A - Public Affaires - Washington D.C. 205.
- Hawaii; Michener James A. Random House N.Y. 1959.
- Hawaii and its People Day A. Grove - Duell sloan and Pearce Des Moines ioda 1966.
- Hawaiian Legends of Ghosts and Ghost Gods; Charles E. Tutrle Co. inc - Tokyo and Ruthland 1963.
- Hawaii - End of Rainbow Miyamot Kazuo، Charles E. Tuttle Co lnc.
- Hawaii Music in the History; Miyamot Kazuo.Charles E. Tuttle Co lnc.
- Enc. Britannica V5 15 th Edition Chicago.
- Enc Americana V13 2000.
- Liliukalani; Hawaii،s Story by Hawaii،s Queen - Charles E. Tuttle Co. Inc. Tokyo and Ruthland.
.The Hawaii،s Book; J.G.Ferguson Pub Co. Chicago 1961 -
.Hawaii - Fifties Star; Duell-Slonn and Pearce، Iowa 1960 -

الحضارة العربية في آسيا الوسطى والقوقاز

غورام تشيكوفاني

تبليسي - جورجيا

تُعدّ بلاد القوقاز جزءاً [illegible] حيوياً ومهماً؛ فهي تُمثّل ملتقى طرق بين أوروبا وآسيا، ومن أهم بلدانها وأشهرها جورجيا.

تتمتّع جورجيا بعلاقتها التاريخية العميقة مع العالم العربي، وقد بدأت هذه العلاقات منذ القدم. ففي عهد الفتوحات الإسلامية فتح العرب مدينة تفليس (تبليسي حالياً)، وكانت هذه المدينة إمارةً تحت الحكم العباسي مدة قرنين ونصف القرن حتى القرن الثاني عشر الميلادي، وبقي من هذه المدة كثير من النقوش والمخطوطات العربية، حتى إن النقود في جورجيا في العصور الوسطى كانت مسكوكةً باللغة العربية. وأقدم هذه الآثار يعود إلى القرن الأول الهجري، وهو نقشٌ عربيّ على حجرٍ اكتُشف في ضواحي تبليسي، وهذا الحجر هو من أحجار الأميال؛ أي: أحجار المسافة، وقد كُتب على الحجر: «بسم الله الرحمن الرحيم، ثلاثة أميال من تفليس»، ويعود تاريخه إلى القرن الهجري الأول، إلى عهد الخليفة عبدالملك بن مروان. ويلاحظ من خلال هذا الحجر مدى قوة التبادل الذي كان سائداً بين العالم العربي وجورجيا المعروفة في المصادر العربية التاريخية ببلاد الكرج. ومن الجدير بالذكر أن هناك كثيراً من الأسماء العربية تحمل اسمي الكرجي والتفليسي، من بينهم أبو بكر محمد بن الحسن الكرجي، وهو رياضي اشتهر في القرن الخامس الهجري، وكذلك المملوك داود باشا الكرجي حاكم العراق، وغيرهما.

إن علاقات جورجيا مع العالم العربي والشرق تمتد إلى حقبٍ طويلة سبقت العرب؛ فهذه العلاقات كانت تمتد إلى عهد الآراميين واللغة الآرامية التي انتشرت وامتدت إلى أن وصلت إلى حدود الهند؛ فاللغة الآرامية كانت مستخدمةً في جورجيا منذ القرون الأولى للميلاد لغة رسمية تستخدم في الرسائل الديوانية والقوانين ولغة المخاطبات (وليست لغة الحديث). واستمر استخدام اللغة الآرامية لغةً رسميةً حقباً طويلةً في شرق البلاد في عهد مملكة

العددان 405 - 406 / الربيعان 1431 هـ



أيبيريا. ونتيجة لهذا الاستخدام الطويل للغة الآرامية، ساعدت الآرامية على تطوير الخط المستخدم في مملكة أيبيريا حتى أصبح خطاً خاصاً. وهذا الخط اكتشف في حيّ في ضواحي مدينة متسخيتا عاصمة جورجيا القديمة، واسم هذا الحيّ أرمازي، وكان قبل ذلك مدينة مُحصنة رسمية لمملكة أيبيريا. وقد اكتُشف فيها حجر لقبرٍ مكتوب باللغتين اليونانية والآرامية القديمة التي كانت مستخدمة في جورجيا قديماً. وبحسب رأي البروفيسور الدكتور جيورجي تسيريتيلي George Tsereteli، فإن هذا النص مكتوب بخط

خا س ن م أ ف هذه المنطقة، م ّماه الخط الآرامي الأرم ازي، وهو خط منطور من الخط الآرامي؛ لذلك يعتقد ن ميي ميلي أن الخط الورجي هو خط منطور عن الخط الآرامي. وبعد هذه العلاقات بدأت العلاقات الورجية العربية، التي و ملت إلى أوج عظمتها مع العال العربي والإ ملمي؛ فقد نرك العرب ب مماتهم ف ح مارة القوقاز وآ ميا الو مطى؛ إذ كانت الآف اق وا معةً، وأبواب العلم مفتوحة ترحّب بن يلجها طالباً للعلم والعرفة.

إن كثياً من أبناء القوقاز وآ ميا الو مطى أ مهموا إ مهاماً كبياً ف القرون الو مطى ف إن ماء ال مارة العربية والإ ملمية القائمة على اللغة العربية، ومنهم: ال ب يون، وال وارزم ي، واب ن مينا، والز م مري، والفارابي، والبخاري، والتمذي. هؤلء هم من أبرز مفكّري العال العربي والثقافة العربية، وتعود أ مولهم إلى آ ميا الو مطى والقوقاز. ونتيجة لر موخ العلقات بي بلد القوقاز والعال العربي فقد دخل كثي من الكلمات العربية إلى اللغات القوقازية، ول تزال م متخدمةً فيها، خ مو ماً ف اللغة الورجية التي توي كلمات عربية كثية؛ مثل:) مورة، و ماعة، وقرن، ومائدة، وأمانة، وجا موس(. وقد و مف جورجيا والقوقاز وآ ميا الو مطى كثي من الؤرخي العرب، من بينهم: ال معودي، والبلذري، والطبي، وابن الأثي، والفارقي، وياقوت الموي، والقلق مندي، واليعقوبي ف كتابه)البلدان(، والإ مطخري، وابن حوقل ف)كتاب ال مالك والمالك(، والقد مي، وابن البلخي، وغيهم. وتوي م مادرهم معلومات عن جورجيا، وبلدان القوقاز، وآ ميا الو مطى، وأحوال م معوبها.

إن ال متعربي الآن ف جورجيا وجمهوريات القوقاز وآ ميا الو مطى يدر مون ال مادر التاريخية، ويعملون عليها الأبحاث ف ال راك ز العلمية ال ا مة؛ مثل: معهد آ ميا وإفريقية، ومعهد ال من مراق ف جورجيا والامعات الأخرى. وقد تُرجم عدد كبي من هذه الدرا مات إلى اللغات الأخرى، وأ مبحت حجر الزاوية ف كثي من الأبحاث العلمية ال دثية ف هذا اليدان، ومرجعاً مهماً للباحثي الذين يرومون البحث ف هذا اليدان.

إن من الهم جداً درا مة تقاليد اللغة العربية ف مال القوقاز، وقد كان الأكاديي البوفي مور آي يو. كاران موف مكي أول من بدأ بدرا مة هذا الو موع ف مقال بعنوان:)الكتابة العربية ف مال القوقاز(. و مارت ال مارة العربية ف مال القوقاز بعد طباعة هذا القال مو موعاً للدرا مة والبحث ف الراكز ال من مراقية، فن مرت بحوث علمية ل)آ. ن. غينكو(، و)ج. ن مييتيلي(، و)ت. ماركفيل مويلي(، و)ن. عاتنت ماويلي(، وغيهم. لقد تطورت ف مال القوقاز الآداب والعلوم العربية؛ فقد كانوا يكتبون ف مال القوقاز باللغة العربية ف كثي من الو موعات، ف الطب، والريا ميات، والهند مة، والفل مفة، وال معر، والقانون، والفقه، والغرافيا، والتاريخ، وعلم الفلك، وكذلك كتبوا دوائر العارف باللغة العربية، وي ممى هذا الأدب)الأدب القوقازي الكتوب باللغة العربية(. ومن م يزات هذا الأدب أنه تطوّر ف منطقة القوقاز البلية تت تأثي اللغات القوقازية؛ لذلك أ مبح أدباً خا ماً بالنطقة القوقازية؛ أي: أننا نجد أدباً عربياً، ولكن تختلط فيه ألفاظ من اللغات القوقازية؛ م ا يدلّ على تأثي اللغات القوقازية ف هذا الأدب العربي.

وف الوقت نف مه ي متخدم الكتّاب القوقازيون بع س الإ مارات ف الكتابة، وهذه الإ مارات تدلّ على ال روف غي ال متعملة ف اللغة العربية، وه ذا يدلّ على أن ه قد تطوّر خطّ خا ّس للمنطقة القوقازية إذا جاز لنا قول ذلك.

كان الإمام م مويل Samil زعيم القوقازيي ف مال القوقاز، وكان معروفاً بلقب أمي الؤمني، وكان حاكماً وإماماً ف داغ متان ف القرن التا مع ع مر، وكان ي متخدم اللغة العربية ف كتابة الر مائل والخاطبات، وهي لغة ديوانية، ويوجد عدد من الر مائل ل تزال م فوظة ف دار الخطوطات ف جورجيا بتوقيع الإمام م مويل، وبخطّ يده، ولغتها اللغة العربية التي كانت م متخدمةً ف بلد القوقاز.

إن ال مارة العربية ف آ ميا الو مطى هي مو موع الدرا مة لدى ال متعربي ف كثي من الراكز العلمية ف جورجيا، وتُبحث أي ماً اللهجات العربية، وتاريخ العرب الذين ل يزالون يتكلمون باللغة العربية ف آ ميا الو مطى)بخارى وق مقاداريا(. وهذه اللغات مهمة جداً؛ لأنها حافظت على الميزات اللغوية القديمة وتتطور بعلقات مع اللغة الأوزبكية والطاجيكية.

اللغات واللهجات شبه الميتة

يبلغ عدد اللغات واللهجات ف العال حالياً نحو م معة آلف لغة ولهجة، وهذه اللغات واللهجات غي موزّعة ب مكل م ماوٍ على مناطق العال؛ فهناك مناطق م غية، ولكنها توي لغات كثية،

وبالعكس هناك مناطق كبيرة ولكنها توي لغات قليلة، وأحياناً لغة واحدة. فإذا أطّلعنا بشكل جليّ على منطقة القوقاز، التي تقع بين البحر الأسود من جهة وبحر قزوين من الجهة الأخرى، خ و اً ف مالها، نجد أن عدد اللغات في هذه المنطقة يبلغ أربعاً و ين لغة، وهذه اللغات يختلف بع ها عن بع س تاماً، ويكن القول: إنه تقريباً يوجد لكل قرية في هذه المنطقة لغة خا ة بها، وفي الوقت نف ه يوجد في ال احة ال ا عة جداً من مدينة انت بطر بورك ف مال رو يا إلى مدينة فلدفو توك التي تقع على الحيط الهادي لغة واحدة فقط، هي اللغة الرو ية.

ويوجد في العالم حالياً ع رات اللغات، منها ما يتكلم بها خ س واحد فقط أو خ ان؛ أي: أنها لغات أ حت على م توى الأفراد، وهذه اللغات واللهجات هي في الرحلة الأخيرة، و تموت قريباً. وح ب تنبّؤ الباء والختين بالغات فإن نهاية القرن الحادي والع رين تشهد موت آلف لغة تاماً، أو أنها تدخل في طور الموت؛ ب بب العولمة التي بدأت تنت ر في كل العالم، وتدخل في كلّ تفا يل الحياة. وهذا الأمر يبدو وا حاً وملمو اً في المناطق التي توي لغات كثيرة. وح ب الإح اءات الحالية، فإنه خلال كلّ ع رة أيام تدخل لغة واحدة طور الموت.

ووفقاً لما ذكرناه آنفاً فمن المهم جداً أن ندوّن هذه اللغات واللهجات التي تموت، ون جّل تفا يلها اللغوية؛ لكي تُحفظ من ال ياع، وتكون م ّل الدرا ة والبحث. ولهذا الهدف هناك م روعات وخطط دولية تهدف إلى حفظ هذه اللغات، والحافظة عليها من التل ي. وجدير بالذكر أن هناك م روعاً للبيون كو با م حجر روزيتا، يعمل على تدوين اللغات واللهجات التي تموت ون جيلها على أقرا س من النيكل غير قابلة للتلف، وكذلك اللغات الكتوبة ت جّل أي اً. و يقوم الباء بكتابة نل ة ف ول من العهد القديم بألف لغة من اللغات الكتوبة؛ لكي تبقى م فوظة. وهذا ال روع هو م روع دولي مهم جداً، وذو معانٍ إن انية امية، ويكن القول: إن هذا ال روع هو بمنزلة إر ال ر الة م تقبلية إلى الأجيال القبلة حتى تتعرّف هذا الإرث، وت تمر في الحافظة عليه. وقد حدث في عام 2004م

آيات قرآنية وزخارف إ لمية تزين م اجد القوقاز

أن أُرسلت إلى الفضاء سفينة فضائية تحمل قرصاً سُجّل عليه ثلاثة فصول من العهد القديم، أولها سفر التكوين، مكتوبة بألف لغة.

إن الترتيب العام للغات في العالم حسب الانتشار، وحسب عدد الناطقين بها، هو: اللغة الصينية؛ فهي الأولى في العالم من حيث عدد الناطقين، وبعدها تأتي اللغة الإنجليزية، ثم الهندية والأوردو معاً، ثم الإسبانية، وبعدها اللغة العربية، ثم الروسية.

اللهجات العربية في آسيا الوسطى

تعدّ اللهجات العربية في آسيا الوسطى من اللهجات التي تُحتضر، أو أنها توشك أن تموت وتنسى. ويوجد في آسيا الوسطى لهجتان: الأولى هي اللهجة الموجودة في ضواحي بخارى، وتسمى اللهجة البخارية، والثانية هي اللهجة الموجودة في جنوب جمهورية أوزبكستان، وتسمى اللهجة في المنطقة القشقدارية، وتسمى اللهجة العربية القشقدارية.

تطوّرت هاتان اللهجتان في عزلة من العالم العربي؛ إذ لم يكن لهما اتصال بالعالم العربي أو اللغة العربية الأم الموجودة في البلاد العربية، وهي المعين الثّر والأصيل للغة العربية. وتشبه هاتان اللهجتان اللهجة العربية الموجودة في مالطة، التي تطورت أيضاً في عزلة عن العالم العربي. وتُعرف اللهجات الموجودة في آسيا الوسطى ومالطة بأنها لهجات محيطية، وهي اللهجات التي يُتكلّم بها في الحدود أو في المناطق النائية. والفرق بين اللهجات العربية في آسيا الوسطى واللهجة العربية في مالطة أن اللهجة العربية في مالطة تعدّ لغة البلاد الرسمية، وهي تُكتب بالحروف اللاتينية، وهي لغة الحديث والأدب والكتب الرسمية. أما اللهجات العربية في آسيا الوسطى فهي لهجات منطوقة وغير مكتوبة؛ أي: أنها تُستعمل في الحديث فقط، وليس في الكتابة.

يوجد عدة أساليب لتصنيف اللهجات العربية عامةً، هي:

- الطبيعة الجغرافية: مثلاً: اللهجات العربية المشرقية والمغربية. المشرقية هي لهجات الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق ومصر، وكذلك اللهجات العربية في آسيا الوسطى. أما المغربية فهي اللهجات الموجودة في بلدان المغرب العربي: الجزائر، والمغرب، وتونس، وليبيا، واللهجة الحسانية في غرب إفريقية.
- الطبيعة التاريخية: وهي اللهجات العربية القديمة والحديثة، وهي أيضاً تنقسم إلى اللهجات المشرقية والمغربية؛ فالمشرقية القديمة تتمثّل في لهجة تميم، وربيعة، وأسد، وباهلة، وعقيل، وغطفان، وعبد القيس، وغنيّ، وحنيفة، وبكر، وتغلب، وهي قبائل عربية معروفة. أما المغربية القديمة فهي حمير، وأزد، وهذيل، وطيّئ، واللهجة الحجازية القديمة.
- الطبيعة الاجتماعية: وتحدّد حسب طبيعة المجتمع، وأسلوب عيشه؛ فسكان المدن يتكلمون بلهجة تختلف عن تلك التي يتكلم بها سكان الريف، وهكذا البدو يتكلمون بلهجة تختلف عن سكان الريف والمدينة.
- وهناك تصنيف بحسب المميزات اللغوية، من حيث طريقة لفظ الحروف والأصوات وغيرها.

أول من بدأ بدراسة اللهجات العربية في آسيا الوسطى في الثلاثينيات من القرن الماضي كان الأكاديمي البروفيسور جورج تسيريتيلي George Tsereteli، والبروفيسور إسحاق فينيكوف Isaak Vinnikov، تحت إشراف الأكاديمي البروفيسور أغناطيوس كراتشكوفسكي (Ignatiy Iulianovich Krachkovskiy).

لمحة إلى تاريخ العرب ولغتهم

يعود تاريخ الهجرات العربية في آسيا الوسطى إلى عدة قرون ماضية. ولهذه الهجرات علاقة وثيقة بالهجرات الإسلامية التي بدأت بين القرنين السابع والثامن الميلاديين حسب ما تؤكده المصادر التاريخية. لقد اقتصر وجود العرب في تلك الحقبة على المدن الكبرى، ثم بدؤوا بالتوسّع والانتشار. وتدلّ المعلومات التي أوردها جغرافيو القرن التاسع عشر (اليعقوبي) على أن العرب كانوا يعيشون بأعداد كبيرة في بلدان ما بين النهرين التابعة لخراسان، ويتمركزون في مدنها الكبرى. ويبدو لنا أن وجودهم في المدن قد شمل الضواحي أيضاً؛ فقد راودتنا هذه الفكرة بعدما علمنا باتساع رقعة الهجرات. ولأن العرب سكان المدن كانوا على علاقة مباشرة بسكان البلاد الأصليين زالت معالم لغتهم الأصلية مع الزمن، وانصهرت في بوتقة اللغة المحلية. يقول الجاحظ: لقد امتزج العرب في القرن التاسع مع السكان الأصليين للبلاد التي استوطنوها، وزالت الفوارق بينهم. ومن المحتمل أن يكون قاطنو الضواحي والبوادي قد حافظوا على لغتهم وطباعهم وتقاليدهم.

وكذلك كانت الهجرات إلى مال نهر أم وداريا؛ إذ ا قرّ المهاجرون في مدينتي مرو وبلخ، بينما انت ر البدو في واحيها. وفي بداية القرن الثاني ع ر وُجدت قرية في واحي هر تان يقطنها العرب. ومن المعلومات التي ا تقيناها من جغراف القرن العا ر، مؤلف كتاب حدود العالم، نتبيّن أن عدد العرب الرّحّل التجولي حول غوزغانان بلغ ع رين ألفاً. وتوجد هناك معلومات ت ير إلى وجود العرب في جنوب غوزغانان في أفغان تان منذ زمن قديم. وفي بداية القرن ال اد س ع ر كانوا موجودين في مدينة كابول و واحيها بأعداد كبيرة. وتؤكد ال صادر التاريخية أن الأمكنة التي ي كنها العرب في آ يا الو طى الآن كانت مأهولة بال كان العرب منذ منت صف القرن ال اد س ع ر. أما المعلومات عن حياة العرب في القرنين ال ابع ع ر والثامن ع ر فقليلة جداً. وفي بداية القرن التا ع ع ر كّل العرب في م يط بخارى وأقجه إدارة م لية نزعّمها الأمير ه ازور. يقول ميييندورف Meyendorf: إن العرب كانوا في الع رينيات من القرن التا ع ع ر يعي ون في واحي مدينتي قر ي وتييمز. وكذلك يعطي الباحثون معلومات عن وجود العرب في آ يا الو طى في القرن التا ع ع ر، منهم: خانيكوف Khanikov، وفامبيري Vambery، وغريبينكي Grebenkin، وبيريكينا وأزمايلوفا Burykina and Izmailova، وغيرهم. ويلحظ كلّ هؤلاء وجود بقايا هذه الهجرات الوا عة في آ يا الو طى.

علمنا في ما بق أن هجرات عربية وا عة توجّهت إلى آ يا الو طى، وبقي علينا أن نعلم إلى أيّ موجة هجرية ينتمي القاطنون الآن في واحي قرية قار ي في منطقة القا قادارية. هناك تاريخ غير مكتمل في بحث هذه ال ألة؛ إذ يقول ميييندورف Meyendorf عام 1820م (من دون تقديم وثائق ثابتة): إن أجداد عرب واحي مدينة بخارى التي جاؤوا إلى هذه البقاع في القرن الأول الهجري، ولكنه بقي يحتمل بأن أجداد عرب القا قادارية قد وفدوا إلى آ يا الو طى للتب ير بدين م مد ر ول الله.

وح ذا فامبيري Vambery حذو ميييندورف Meyendorf، فذكر من دون دليل أن أجداد عرب بخارى هم من مهاجري القرن الأول الهجري. ومن معلومات غريبينكي Grebenkin رواية اقها عرب بخارى تقول: إنهم من العرب الذين أ رهم تيمورلنك، ووطّنهم في هذه الديار. وفي رواية أخرى لبع س هؤلاء العرب أن أجدادهم جاؤوا إلى هذه البلاد في القرن ال ابع الميلادي. ولم يذكر غريبينكي Grebenkin يئاً عن أ ل هذه الفئة، وتاريخ هجرتهم، ولم يزد إلى قوله: إنهم أ حاب خيول مطهّمة ومواس مينة.

في تموز/ ت رين الثاني عام 1980م قمتُ بزيارة ا تطلاعية علمية لآ يا الو طى لنتعرّف أ ل العرب الموجودين في هذه البلاد ولغتهم. و جّلت في قرية جينياو القا قادارية رواية تتعلق بأجداد العرب هناك، تقول الرواية: إن أجداد كان جينياو قد وفدوا إلى هذه البلاد في بداية الفتوحات الإ لامية في القرن ال ابع أو الثامن الميلادي. وتتألف قرية جينياو من تة أحياء، هي: حروق، وبافونا، وعافونا، وعندوهي، وجوقورول، وقاطاباوي. فثلاثة من هذه الأحياء، هي: حروق، وبافونا، وعافونا، يتكلم كانها اللغة العربية بلهجة

الآذن تقف اهدة على ر وخ ال ارة الإ لامية في آ يا الو طى

خا مة بالقا مقادارية. ونوجد بالقرب منها قاما مي، التي يتكلّم سكانها العربية باللهجة نف سها. وتختلف اللهجة البخارية عن اللهجة القا مقادارية؛ حتى إن سكانها ل يكادون يتفاهمون فيما بينهم. أما ت سمية اللهجتي بهذا ال سم فقد ورد على ل سان ال م ست شرق الأكاديي ال سوفيتي جورج ت سيريتيلي Tsereteli الذي كان الأ سبق إل درا ستهما ف الن صف الأول من القرن الما ضي.

هذه الرواية ف رأينا مهمة جداً، ولكنها لي ست كافية، ولبد لنا من القيام بدرا سة أول عليها. فمن الجدير بالذكر أن بع ض سكان بخارى يدّعون أنهم من الوافدين ف القرن ال سابع الميلدي. ولتحديد الزمن الذي ا ستوطن فيه العرب هذه البلد قمتُ بدرا سة بع ض ال م صادر التاريخية المتعلقة بالهجرات العربية إل آ سيا الو سطى. وف خلل درا ستي تو صّلت إل معلومة أخذتها من كتاب الإ صطخري، فيذكر هذا المؤرخ أن قريةً ف مقاطعة قا شقادارية كانت ف أوائل القرون الهجرية تدعى قري س، وا ستنتجت من ا سم القرية إمكانية وجود عرب فيها.

وبعد تعرّف ال م صادر التاريخية سافرت إل قا شقادارية مرةً أخرى ف العام التال، وق صدت قرية جيناو. وبعد التحدث إل أهلها أفادن معظمهم أنهم من أ صل قر شي. ف سجّلت أحاديثهم ورواياتهم عن الو ضوع، وتبيّن ل بو ضوح وجود علقة بي الت سمية التاريخية للإ صطخري والنا س الوجودين هنا ورواياتهم، وح صلت عندي قناعة أ سا سية علمية عن و صول أجداد العرب إل قا شقادرايا ف أوائل القرون الهجرية. وبعد م اولتي درا سة الو ضوع تاريخياً بدأت بدرا سته لغوياً، ووجدت أنه ب سبب العزلة عن العال العربي ظلّت اللغة العربية ف آ سيا الو سطى لغةً معزولةً عن العال العربي، أو التوا صل بالبلدان العربية. ولكنها حافظت على كثي من الميزات الأ صيلة للغة العربية القديمة. ويوجد ف هاتي اللهجتي بع ض الميزات اللغوية ذات الأهمية الكبية لدرا سة تطور اللغات ال سامية عامةً؛ مثلً ف اللهجة القا شقادارية علمة الجمع فيها لحقة لغوية)ات(مثل اللغة العربية، وف الوقت نف سه هناك علمة جمع غريبة عن اللغة العربية، وهي لحقة)م(؛ مثل:)حمرا(: نقود، وجمعها:)حمرايام(: نقود، و)طنكا(: نقد من الف ضة،)وتطنكايام(: نقود ف ضية. وهناك كلمة)كرا(التي تعني قرأ أو اجتمع، والعنى هو الأهم؛ لأن فيه معان ودللت إ سلمية تتعلق بالقرآن الكري. وكلمة)جزيرة(ف اللهجة القا شقادارية تعني ال صحراء، وهذا يدلّ على أ سلوبهم التي تنحدر من الجزيرة العربية التي هي ف الحقيقة أغلبها ال صحراء، وهي أم العرب.

وف اللهجتي البخارية والقا شقادارية تنقلب الحركة أو ال صوت)إل)و(ف الكلمات التي تحتوي على)ا(؛ مثلً: كلم - كلوم، وجواب - جووب، وطعام - طعوم، وال سبب ف هذه التغييات تأتي اللغة الطاجيكية ف اللهجة العربية ف آ سيا الو سطى.

وقد دخلت تغييات ف تركيب الجملة على اللهجة القا شقادارية، و سبب ذلك هو تأثي اللغة الأوزبكية؛ فمثلً:)إيزوجة أفندي كال(تعني: قال الأفندي لزوجته، أو)أفندي إيزوجة كال(، وهذا يعني عدم التزام قواعد اللغة العربية، وبذلك يكون من الممكن أن يكون الفعل ف نهاية الجملة خلفاً لقواعد اللغة العربية التي يكون فيها الفعل ف بداية الجملة الفعلية، و سبب ذلك هو العلقات والروابط اللغوية العربية الأوزبكية ف آ سيا الو سطى.

وي ضاف إل الفعل ال ضارع ف اللهجة القا شقادارية ال سابقة)تا(، التي ت ضي إل ال م ستقبل الحال)ف وراً(؛ مثلً:)تانوغدي(تعني: لنذهب ف وراً. ويكون ف اللهجة القا شقادارية ا سم الفاعل)نائم(فعلً م ساعداً يأتي مع الفعل ال ضارع ليدلّ على حدوث الفعل الآن؛ مثلً:)با شا إجي ناي(، تعني: دخل البا شا الآن،)الورة تطبخ ناي(يعني: تطبخ الرأة الآن.

وي ستعمل ف بخارى حرف)م(ف بداية الفعل ال ضارع، أما ف اللهجة القا شقادارية فإن هذا الحرف غي موجود ف الفعل ال ضارع؛ مثلً:)مدري(ف البخارية تعني: أنا أعرف. أما ف اللهجة القا شقادارية فتعني)أنا ل أعرف(. وي ستعمل حرف)ك(بدلً من حرف القاف ف اللهجة القا شقادارية. أما ف اللهجة البخارية في ستخدم حرف القاف مثل اللغة العربية. ولهذا ال سبب نقول: إن اللهجة القا شقادارية هي اللهجة البدوية، أما اللهجة البخارية فهي اللهجة الدينية، أو لهجة أهل الدينة.

زُرتُ آ سيا الو سطى عدة مرات، و سجّلت فيها عدداً كبياً من الن صو ص، وكتبتُ قواعد اللهجتي البخارية والقا شقادارية، ون شرت مقالت حول هذا الو ضوع باللغات الجورجية، والعربية، والإنليزية، والرو سية، وثمرة عملي الحافظة على هاتي اللهجتي من ال ضياع، وحاولتُ أن أبيّن للعال كله، خ صو صاً العال العربي، أن هناك لهجتي عربيتي هما جزء ل يتجزأ من اللغة العربية الأم.

ابتسم من فضلك

يوسف سليم قرنوب
الرياض - السعودية

من المألوف أن نسمع وأنت في المقاهي طرائف كثيرة حول المحششين (أي: متعاطي الحشيش) تتحدث عن بساطتهم «وغفلتهم» فيقولون: إنّ محششاً نام بعين واحدة فقط؛ لأنه تناول نصف قرص منوم، وإن محششاً آخر ذهب إلى الشاطئ لينتحر، وأرسل إلى أهله صورته «بالمايوه» فأرسلوا إليه ثياباً، ويقولون أيضاً: إن علماء محششين وضعوا برنامجاً للكومبيوتر: برنامجاً شتوياً هو (دوت كوم)، وآخر صيفياً هو (دوت نص كم)!

وفي مصر يتناقلون القفشات والطرائف عن الصعايدة فيقولون: إن اثنين من الصعايدة التحقا بكلية الطب، وبعد انتهاء الدراسة تخرج أحدهما منهم طبيباً والآخر مصاباً، ويقولون أيضاً: إن الصعايدة حينما يريدون سرقة بنك يذهب أربعة منهم: الأول يقود السيارة، والثاني يضغط على الزمارة، والثالث يحرس الموقع، أما الرابع فيبلغ الشرطة!

وأنا شخصياً أعرف المصريين والصعايدة، وهم من خيرة الناس أخلاقاً وسلوكاً يتميزون بالبساطة وطيبة القلب ودماثة الخلق، ولكنهم ليسوا مغفلين بالمعنى المقصود من هذه الكلمة.

وفي الحقيقة فإن إطلاق الطرائف والقفشات أمر موجود لدى جميع الشعوب، وهو يعكس ميل الإنسان إلى الخروج من رتابة الحياة وجديتها إلى شيء يروّح عن النفس، ويغسل صدأ القلب؛ فمعيشة الإنسان في نظام رتيب لا يتخلله تعديل منه شيئاً أشبه بالكومبيوتر، وهو أمر لا يليق بالإنسان.

وفي حياتنا اليومية نصادف أشخاصاً قد ضربوا حول أنفسهم سوراً من الجدّية، فلا يفارق العبوس وجوههم في البيت أو العمل أو المدرسة، وهؤلاء الأشخاص - في العموم - طيبون ومستقيمون، ولكن وجودهم في أي مكان يلقي ظلاً من الكآبة والضيق، وهم يرفضون فكرة الابتسام لأية طرفة أو «قفشة» ظناً أن ذلك من سوء الأدب.

إن النكتة أحياناً وسيلة لتفريج الهموم والتخلص من الضيق، وهي ليست طريقة للهروب من المشكلات والصعوبات، بل محطة قصيرة لالتقاط الأنفاس ومتابعة المشي في دروب الحياة. وقد تمثل الطرفة ذاتها درساً من الدروس أو عبرة من العبر فتأخذ عندئذٍ شكل المثل الشعبي، كما في مقولة أهل الشام (حط راسك بين الرؤوس وقل يا قطاع الرؤوس) (أي: إذا عم البلاء فشارك الناس في تحمله.

وتعدّ الطرفة أو القفشة خير وسيلة للتعابير بعيداً من آثار الغضب والبغضاء، وقد روي عن المؤرخ الطبري أنه أودع حذاءه عند الإسكافي بهدف إصلاحه فتباطأ في عمله، وكان كلما رأى الطبري قادماً إليه أخرج الحذاء وغمسه في الماء، وتظاهر بأنه يصلحه، فقال له الطبري: لقد أحضرت لك الحذاء كي تصلحه فَلِمَ تريد أن تعلّمه السباحة؟!

وقد رُوِيَ عن أحد الزهاد أنه حينما ذهب إلى السوق لشراء بعض الحوائج قال للناس البائع: إن هذا الرجل تقي وورع فخفف له السعر، فقال الزاهد مستنكراً: لقد جئنا نشتري بأموالنا وليس بتقوانا.

إن حسن التعامل مع الناس يتطلب الظرف والكياسة وخفة الدم، ويقول مثل صيني قديم: (إنّ الذي لا يحسن الابتسام لا ينبغي له أن يفتح دكاناً). فيا عزيزي القارئ: إن تكن لم تبتسم حتى الآن، فابتسم من فضلك.